الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية أصول الدين

قسم : الكتاب والسنة

تخصص : الحديث وعلومه

مطبوعـــة في مـادة:

الإعجاز في السنة النبوية

موجهـــة لطلبـــة الماستر

السداسي الثالث

إعداد : د/ سلاف لقيقط

السنة الجامعية : 2021م-2022

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسم : الكتاب والسنة
كلية أصول الدين تخصص : الحديث وعلومه

مطبوعـــة في مـادة:

الإعجاز في السنة النبوية

موجهـــة لطلبـــة الماستر

السداسي الثالث

إعداد : د/ سلاف لقيقط

السنـة الجامعيـة : 2021م-2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

شاء الله – سبحانه وتعالى- أن يكون الإسلام الدّين الخاتم والناسخ لكل الأديان، قال تعالى: ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ [آل عمران :85].

كما شاءت إرادته- عز وجل- أن يكون محمد -ﷺ- رسول آخر الزمان، ومن ثم أن تكون رسالته- رسالة الإسلام- رسالة عالمية خالدة، ودعوته دعوة كاملة وشاملة لكل شعوب الأرض على اختلاف لونهم، وجنسهم، ولغتهم وثقافتهم، وعليه فمحمد – عليه الصلاة والسلام- رسول للعالم كله في كل زمان ومكان، وبالتالي يجب أن يكون منطقه وما يتحدث به صالحا لكل زمان ومكان وهو يُصلح كل زمان ومكان.

ولتحقيق عالمية الرسالة وصلاحيتها المطلقة التي تضمن لها الخلود هيأ الله الأسباب، ومنها اصطفاء الجيل الذي احتضن هذه الدعوة ثم بلغها، والذي أهم ما ميّزه قوة الحافظة التي ستحمل هذا الهدي.

وقبل هذا اصطفى- جل في علاه- من سيحمل لواء هذه الرسالة -ﷺ- وهيأه لهذا الأمر الجلل، فكان أهم ما ميزه:- سلامة فطرته (حفظه سبحانه من براثن الجاهلية).

– تنشئته على قوة البدن وفصاحة اللسان، حيث هيأ له مناخا يتزود فيه بملكة بيانية قوية يستطيع من خلالها أن يشرح القرآن ويبينه، تمثلت اليوم في الميراث الهائل الذي خلفه للأمة من سنة وأحاديث نبوية شريفة.

– إضافة إلى صرفه عن الشعر، فلم يقل -ﷺ- في حياته الشعر، وما كان ينبغي له، رغم ما أوتي من بلاغة وبيان.

وفوق كل هذا أيده بما أيد به الأنبياء والرسل قبله؛ من معجزات حسية شاهدة على صدق دعوته في زمنه، وحجة قاطعة على من عاصره، ولأن هذه المعجزات متوقف وجودها على وجوده، وحجتها لا تقوم إلا على أهل عصره ، ولما كانت رسالة الإسلام رسالة خالدة ،كان لابد أن يؤيَّد-ﷺ- بمعجزة تبقى أبد الدهر، وتدركها عقول البشر في كل عصر ومصر، فكانت المعجزة الخالدة هي الوحي في أسمى صوره وهو القرآن الكريم الذي أنزله الله –عزو جل- بلفظه على محمد

-ﷺ-، ثم أوكل إليه بيانه بما أوحاه إليه أيضا من علم بثه في أمته أقوالا و أفعالا و تقريرات، وهو ما اصطلح على تسميته بالسنة النبوية الشريفة .

فالسنة وحي أوحاه الله إلى نبيه محمد -ﷺ- أقر ذلك المولى – جل في علاه- فقال : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم 3-4].

وقال – عز من قائل- :﴿ ...وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء : 113]

وقال رسول الله- ﷺ-:[**أَلا إِنّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ** ...].

ولفظ الترمذي:[**ألا هل عسى رجُل يبلغُهُ الحديث عنّي وهو مُتّكئ على أريكته فيقول بَيننا وبينكم كتابُ الله فما وجدنا فيه حلالا استحْللناهُ وما وجدنا فيه حراما حرّمناه، وإنّ مَا حرّم رسول الله -ﷺ- كما حرّم الله**][1].

قال **الدارمي**-رحمه الله- فيما نقله عنه صاحب **الحجة في بيان المحجة** : "يقول: أوتيت القرآن، وأوتيت مثله من السنن التي لم ينطق القرآن بنصه، وما هي إلا مفسرة لإرادة الله تعالى به"[2].

وقال **ابن كثير** -رحمه الله-:" [... **وَمِثْلَهُ مَعَهُ**] يعني: السنة. والسنة أيضًا تنزل عليه بالوحي، كما ينزل القرآن؛ إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن"[3]

و قال **العراقي** -رحمه الله- :" وصف السنة بالإنزال صحيح، فقد كان ينزل بها كما ينزل بالقرآن، كما في الحديث الصحيح في الرجل الذي أحرم لعمرة وهو متضمخ بخلوق، فنزل الوحي في ذلك بالسنة الثابتة من قوله: [**ما كنت صانعا في حجك فاصنعه في عمرتك**][4]"[5].

– وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-:" كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله

---

[1] _ أخرجه : أبو داود : السنن: ك:السنة، ب: لزوم السنة، ح(4606)، واللفظ له.

الترمذي: الجامع: ك: العلم، ب: ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي – ﷺ-ح(2664)، وقال:"حسن غريب" وهو من حديث المقدام بن معد يكرب-رضي الله عنه-". والحديث صححه الألباني في مختصر سنن ابن ماجه (7/1).

[2] _ أبو القاسم الأصبهاني : (317/2).

[3] _ تفسير القرآن العظيم : (7/1).

[4] _ البخاري : الصحيح : ك: العمرة، باب يفعل بالعمرة ..ح (1697)، مسلم : الصحيح: ك: الحج، ح (2856)

[5] _ طرح التثريب (18/1).

-ﷺ-أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله- ﷺ- ورسول الله -ﷺ- يتكلم في الغضب والرضا ! فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله، فأومأ بأصبعه إلى فيه، وقال : [**اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق**]"[1].

فهذه أدلة واضحة — وغيرها كثير- على أن الرسول- ﷺ- ما ينطق، وما يخرج منه في كلامه إلا الحق.

وقد احتوت السنة كما احتوى القرآن على علوم ومعارف في ميادين شتى؛ كميدان التربية، و التشريع، والأدب والبلاغة، والميدان العلمي...وغيرها لم يكن معلوما كثير منها وقت التنزيل، بيد أنه ظهر بعضها بوضوح وجلاء في عصرنا هذا وقبله، فقامت بها الحجة.

وإنما جاءت هذه المذكرة الموجهة إلى طلبة السنة الثانية ماستر تخصص الحديث وعلومه في مقياس **الإعجاز في السنة النبوية** لتعريف الطالب أن السنة النبوية هي أحد الوحيين، وأنها من الله بمعناها من خلال إبراز بعض ما جاءت به السنة في مختلف الميادين السالفة الذكر، وبيان وجوه الإعجاز فيها مما تقام به الحجة على الخلق، وذلك انطلاقا من العناصر الآتية:

1/- تعريف الإعجاز في السنة النبوية وضوابطه ووجوهه.

2/- الوجه الأول: الإعجاز البلاغي في السنة النبوية.

- حقيقة البلاغة النبوية.
- أدلة تفوق وسمو البلاغة النبوية.
- أسباب رقي البلاغة النبوية.
- معالم البلاغة النبوية.
- وجوه إعجاز البلاغة النبوية.

3/- الوجه الثاني: الإعجاز الفني في السنة النبوية.

- مفهوم الإعجاز الفني في السنة النبوية
- مفهوم التصوير الفني في الحديث النبوي.
- الوسائل البلاغية للصورة الفنية.
- الوسائل الجمالية الأخرى للصورة الفنية.
- مظاهر الصورة الفنية في الحديث النبوي.

---

[1] _ أبو داود : السنن : ك : العلم، ب : كتابة العلم، ح(3648).

- خصائص الصورة الحديثية.
- الموسيقى النثرية في الحديث النبوي.

4/- الوجه الثالث: الإعجاز التشريعي في السنة النبوية.

- مفهوم الإعجاز التشريعي.
- أقوال العلماء في الإعجاز التشريعي وبوادر الاهتمام به.
- مجالات الإعجاز التشريعي.
- مظاهر الإعجاز التشريعي.
- نماذج من الإعجاز التشريعي.

5/- الوجه الرابع: الإعجاز الغيبي في السنة النبوية.

- تعريف الإعجاز الغيبي في السنة النبوية.
- وجوه الإعجاز الغيبي في السنة النبوية.
- خصائص الإعجاز الغيبي في السنة النبوية.
- نماذج من الإعجاز الغيبي في السنة النبوية.

6/- الوجه الخامس: الإعجاز التربوي في السنة النبوية.

- مفهوم الإعجاز التربوي في السنة النبوية.
- خصائص التربية النبوية.
- أساليب التربية النبوية.
- وجوه الإعجاز التربوي في السنة النبوية.
- نماذج من الإعجاز التربوي في السنة النبوية.

7/- الوجه السادس: الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

- مفهوم الإعجاز العلمي في السنة النبوية.
- وجوه الإعجاز العلمي في السنة النبوية.
- ضوابط وخطوات البحث في الإعجاز العلمي في السنة النبوية.
- فوائد بحوث الإعجاز العلمي.
- مجالات الإعجاز العلمي في السنة النبوية.
- نماذج من الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

المحاضرة الأولى :

تعريف الإعجاز في السنة النبوية وضوابطه ووجوهه

أولا: تعريف الإعجاز في السنة النبوية

" الإعجاز في السنة النبوية " أو " إعجاز السنة النبوية " علم مركب إضافي من كلمتين " إعجاز "و " السنة النبوية "، والمركب يبدأ عادة بتعريف أفراده كل على حده، ثم تعريفه بإضافة أحدهما إلى الآخر .

أ/ تعريف "الإعجاز" و" المعجزة" لغة واصطلاحا .

تعريف "الإعجاز" و" المعجزة" لغة.

الإعجاز مشتق من (العجْز / العجُز) ومادة العين والجيم والزاي لها أصلان في اللغة[1] :

أحدهما : من العجْز و العجُز : وهو مؤخر الشيء .

والآخر : من العجز : أي الضعف وعدم القدرة.

فالعجز : هو الضعف والقصور . يقال عجزت عن فعل الشيء : أي لم أقدر على القيام به.

والتأخير دليل القصور ، فمن تأخر عن غيره فإنما ذلك لعجزه وقصوره .

و**الإعجاز** مصدر أعجز ومعناه **إثبات العجز**، ومنه قولهم " أعجزني فلان ": إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، وأعجزه الشيء : فاته، وأعجز فلانا : وجده عاجزا، وصيره عاجزا، والتعجيز : التثبيط والنسبة إلى العجز .

مما سبق فإن لفظة "الإعجاز" إنما توضع لغة للدلالة على الضعف والقصور وعدم القدرة، للفوت والسبق .

ومنه **المعجزة** : وهي اسم الفاعل منه (معجز) لحقته الهاء للمبالغة، **وهي الأمر الخارق للعادة يعجز البشر عن الإتيان بمثله.**

ولا يصدق هذا مجتمعا تماما إلا على معجزات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ومنها معجزات خاتمهم محمد بن عبد الله – ﷺ– وعلى رأسها معجزته الخالدة وهي القرآن الكريم ، التي

---

[1] _ ينظر: الجوهري: الصحاح(883/3)،ابن منظور: لسان العرب(369/5)، الفيومي: المصباح المنير (393/2)، الفيروزآبادي: القاموس المحيط(515/1)، إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط(585/2)، فضل عباس: إعجاز القرآن(11).

تحدى الله –عز وجل– بها الناس إلى يوم القيامة.

وقد **وردت مشتقات لفظ " عجز " في ستة وعشرين موضعا من كتاب الله**، منها :

- قوله تعالى : ﴿**وإنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا** ﴾ [الجن : 12] .
- وقوله عز من قائل : ﴿**وما أنتم بمعجزين**﴾ في آيات كثيرة :[أنعام :134] ، [يونس : 53] ، [هود : 33] ، [العنكبوت : 22] ، [الشورى : 31] .
- وقوله أيضا : ﴿**لم يكونوا معجزين في الأرض**﴾ [هود : 20].
- وقوله عز وجل : ﴿ **فما هم بمعجزين**﴾ [النحل : 46] .
- وقوله سبحانه : ﴿ **لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض** ﴾ [النور : 57] .
- وقوله عز وجل : ﴿ **وما هم بمعجزين** ﴾ [الزمر : 50] .
- وقول المولى الكريم : ﴿**غير معجزي الله** ﴾ [التوبة : 2-3] .
- وقوله تعالى: ﴿ **من لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض**﴾ [الأحقاف : 32] .
- وقوله سبحانه : ﴿ **وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض** ﴾[فاطر : 44]

والمقصود: أن المخاطبين بهذه الآية لا يعجزون الله تعالى، ولا يسبقونه أو يفوتونه سبحانه، بل هو قادر على تحقيق مراده فيهم، وهم جميعا في قبضته وتحت قهره ، ومشيئته، فالملك ملكه يفعل فيه ما يشاء .

- وجاء على لسان ابن آدم : ﴿ **أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب**﴾ [المائدة : 31] . أي: أضعفت في عقلي و تفكيري أن أفعل هذا الفعل ، ولم أهتد إليه لضعفي وعجزي . وظاهر أن العجز هنا في هذه الآية هو لضعف التفكير وعدم التوصل بفكره إلى حفر حفرة يواري بها جثة أخيه المقتول، فإنه بعد أن رأى فعل الغراب وارى جثة أخيه، فكان عاجزا في فكره، قادرا بفعله [1]

هذا ويلاحظ مما سبق عرضه من الآيات واستخدامات القرآن الكريم للفظة " عجز " ومشتقاتها أن لفظة " المعجزة " لم ترد مطلقا في كتاب الله، إنما استخدم القرآن الكريم مصطلحات أخرى لها دلالات مقاربة ، وهي : الآية ، البينة ، البرهان ، السلطان[2] .

---

[1] _ صالح بن أحمد الرضا: الإعجاز العلمي في السنة النبوية (17،18).

[2] _ عبد الله المصلح: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (14،15).

- قال الله تعالى : ﴿**وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون** ﴾ [الأنعام : 109].

قال **ابن كثير** –رحمه الله– في تفسير الآية :" يقول تعالى إخبارا عن المشركين أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم أي حلفوا أيمانا مؤكدة (لئن جاءتهم آية) أي معجزة وخارق (ليؤمنن بها)" [1]

- وقال تعالى في ذكره: ﴿ **وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا** ﴾ [الإسراء : 59] .

قال **ابن جرير**–رحمه الله– : "يقول تعالى : وما منعنا يا محمد أن نرسل بالآيات التي سألها قومك إلا أن كان من قبلهم من الأمم المكذبة سألوا ذلك مثل سؤالهم، فلما أتاهم ما سألوا منه كذبوا رسلهم، فلم يصدقوا مع مجيء الآيات، فعُوجلوا، فلم نرسل إلى قومك بالآيات لأنا لو أرسلنا بها إليهم فكذبوا بها، سلكنا في تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلهم"[2].

- وقال تعالى ذكره : ﴿ **وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إلى فرعون وقومه إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** ﴾ [النمل : 12]

قال **ابن كثير** –رحمه الله– : " هذه آية أخرى، ودليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار، وصِدْق من جعل له معجزة، وذلك أن الله –تعالى –أمره أن يُدخل يده في جيب دِرْعِه، فإذا أدخلها وأخرجها خَرجت بيضاء ساطعة، كأنها قطعة قمر، لها لمعان يتلألأ كالبرق الخاطف" [3].

- وكذلك الحال بالنسبة للفظة **البينة**،كما في قوله تعالى: ﴿**حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ [الأعراف : 105]

قال **ابن عطية** :" الآية البينة هنا إشارة إلى جميع آياته وهي على المعجزة هنا أدل وهذا من موسى عرض نبوته ومن فرعون استدعاء خرق العادة الدال على الصدق"[4].

وكما في قوله تعالى : ﴿ **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا**

---

[1] _ تفسير القرآن العظيم: (316/3).

[2] _ جامع البيان: (476/17).

[3] _ تفسير القرآن العظيم: (180/6).

[4] _ المحرر الوجيز : (502/2).

تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأعراف : 73]

حيث يقول **ابن جرير** في تفسيرها : " يقول: قال صالح لثمود: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له، فما لكم إله يجوزُ لكم أن تعبدوه غيره، وقد جاءتكم حُجَّة وبرهان على صدق ما أقول، وحقيقة ما إليه أدعو ، من إخلاص التوحيد لله ، وإفراده بالعبادة دون ما سواه ، وتصديقي على أني له رسول. وبيِّنتي على ما أقول وحقيقة ما جئتكم به من عند ربي، وحجتي عليه ، هذه الناقة التي أخرجها الله من هذه الهَضْبة ، دليلا على نبوّتي وصدق مقالتي ، فقد علمتم أن ذلك من المعجزات التي لا يقدر على مثلها أحدٌ إلا الله."[1] .

ففسرها بالمعجزة و بالحجة **والبرهان** كما في قوله تعالى مخاطبا رسوله موسى -عليه السلام- :

﴿**واسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين**﴾[القصص: 32]

قال **ابن عطية** في تفسيرها :" قال **مجاهد والسدي** -رحمهما الله- : هي إشارة إلى العصا واليد .. وبرهانان : حجتان ومعجزتان "[2].

- أما **السلطان** فجاء في قوله تعالى حاكيا عن الأمم السالفة قولهم للأنبياء -عليهم السلام- :

﴿ ... **قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين** ﴾ [إبراهيم : 10] .

قال **القرطبي** :" أي بحجة ظاهرة "[3] .

تعريف "الإعجاز"[4] و" المعجزة" اصطلاحا.

– عرفها **الجرجاني**:" المعجزة أمر خارق للعادة داع إلى الخير والسعادة مقرون بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله"[5]

– زاد **السيوطي** قيدا آخر، فقال :" اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من

---

[1] _ جامع البيان : (525/12).

[2] _ المحرر الوجيز : (287/4).

[3] _ الجامع لأحكام القرآن : (346/9).

[4] _ لم يرد تعريف للفظ "الإعجاز" إلا مقرونا ومضافا إلى "القرآن".

[5] _ التعريفات: (219).

المعارضة "[1].

قال **الهيثمي** :" ولا شك أن كل ما وقع منه -ﷺ- بعد النبوة مقرون بالتحدي لأن قرائن أقواله وأحواله ناطقة بدعواه النبوة وتحديه للمخالفين وإظهاره ما يقمعهم ويقطعهم، فكان كل ما ظهر منه-ﷺ- يسمى آيات ومعجزات وقوله -ﷺ- عند ظهور بعضها : **[أشهد أني رسول الله]** شاهد صدق على ما ذكرته فتأمله"[2].

في حين ذهب **ابن تيمية** إلى أن آيات الأنبياء ليس من شرطها التحدي بها، فقال : "وهو شرط باطل بل آيات الانبياء آيات وإن لم ينطقوا بالتحدي بالمثل وهي دلائل على النبوة وصدق المخبر بها [3] .

و قال صاحب كتاب **الإعجاز العلمي في السنة النبوية** : " ما اشترطه المتكلمون من كون المعجزة متحدى بها فيه نظر، إذ يخرج جملة من ما تضمنته الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية مما لم يقع فيه التحدي، مع تضمنه لأمور هي من آيات صدقه-ﷺ- ودلائل نبوته- عليه الصلاة والسلام -"[4]

خاصة و أن كثيرا مما أجراه الله على يد نبيه إنما كان في مجتمع المؤمنين بنبوته-ﷺ-، قال أحمد رضا : "ولم يكن فيها تحد ظاهر ولا ضمني" [5].

والظاهر أن قول السيوطي : "مقرون بالتحدي" الذي جاء في باب إعجاز القرآن، إنما جاء في سياق تعريف معجزة القرآن خاصة، التي ثبت بالنص الصحيح التحدي الظاهر والصريح بها، ولم يأت لتعريف المعجزة مطلقا، فحمله على هذا الأخير فيه نظر- والله أعلم-.

هذا على اعتبار أن هذه العبارة قيد في التعريف، ويمكن اعتبارها مجرد وصف كاشف غير مؤسس ولا مؤثر طردا ولا عكسا، وبهذا يمكن التوفيق والجمع بين جملة هذه التعريفات.

– وعرفها **فضل عباس** بأنها : " ما يدل على تصديق الله تعالى للمدعي في دعواه الرسالة "[6]

---

[1] _ الإتقان: (311/2).

[2] _ الفتاوى الحديثية: (219).

[3] _ النبوات: (151/1).

[4] _ بازمول: (7، 8).

[5] _ صالح رضا :الإعجاز العلمي في السنة النبوية (20).

[6] _ إعجاز القرآن الكريم: (21).

– وفي **معجم لغة الفقهاء** هي :" أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد مدعي النبوة تصديقا له في دعواه"[1].

– وعرفها **عبد السلام اللوح**، فقال :" إن المعجزة هي أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد مدعي النبوة على وفق مراده، تصديقا له في دعواه مقرونا بالتحدي مع عدم معارضته، وذلك كله في زمن التكليف"[2] ، أي زمن النبوة فتدخل بذلك الأمور العلمية التي تحدث بها القرآن الكريم، وتحدث بها الرسول –ﷺ – في الأحاديث المختلفة، ذلك أن كثيرا من هذه الأمور أصبحت تفهم شيئا فشيئا كلما كانت هناك اكتشافات جديدة[3].

وقد يعترض على ذلك بأن المعجزة الخالدة للنبي– صلى الله عليه وسلم– ألا وهي القرآن الكريم سلمت من المعارضة زمن النبوة، وأيام الوحي، ولا زالت كذلك إلى يوم الناس هذا وستبقى إلى يوم القيامة. ويرد عليه بأن ذلك تحصيل حاصل.

بناء على ما سبق فإن كلمة " **معجزة** " مصطلح خصه العلماء **بخوارق العادات التي أجراها الله تعالى على يد ولسان رسله حجة وآية على صدق رسالتهم، إما من حيث السبق والفوت، أو من حيث السلامة من المعارضة، وعدم القدرة على الاتيان بمثلها زمن التكليف.**

هذا وقد أطلق علماء السنة و الحديث على ما كان من هذه الخوارق على يد نبينا محمد – ﷺ – "علامات النبوة في الإسلام "كما ترجم البخاري في صحيحه، و" آيات إثبات نبوة النبي –ﷺ – " كما هو في جامع الترمذي، إضافة إلى"دلائل النبوة"، وقد ألفت تحت هذا الاسم مصنفات، منها :

– " دلائل النبوة " للفريابي (301هـ).

– " دلائل النبوة " لأبي نعيم الأصبهاني(430هـ).

– " دلائل النبوة " للبيهقي(458هـ).

ب/ تعريف السنة لغة واصطلاحا

---

[1] _ قلعة جي: (439).

[2] _ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : (6).

[3] _ صالح رضا : الإعجاز العلمي في السنة النبوية : (21).

تعريف السنة لغة.

مادة (س، ن) تدور حول أصل واحد وهو جريان الشيء، واطراده في سهولة، والأصل في قولهم: سننت الماء على وجهي، أسنه سنا إذا أرسلته إرسالا، اشتق منه السنة بمعنى السيرة و الطريقة[1].

تعريف السنة اصطلاحا.

السنة هي ما أضيف إلى الرسول-ﷺ – من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية [2].

فالسنة عند المحدثين :أقوال وأفعال وتقريرات وشمائل وسيرة، يشملها عندهم اسم الهدي العام الذي كان عليه النبي -ﷺ -، والسنة عندهم مرادفة للحديث .

ج/ تعريف إعجاز السنة النبوية

يقول **محمد بازمول** :" أما تعريف العلم بإضافة كل فرد من أفراده إلى الآخر (إعجاز السنة) فإننا نستخلصه من تأمل شقي المركب، فأقول: **إعجاز السنة النبوية هو ما تضمنه حديث الرسول –ﷺ – من دلائل وعلامات على نبوته –ﷺ – وصدقه فيما بلغه عن ربه، مما يمنع أن يكون على يدي بشر لا يوحى إليه**"[3] **زمن التكليف.**

و**دلائل وعلامات النبوة** لا تتعدى كونها **أمرا يجريه الله على يد نبيه،** أو **علما يبديه في أقواله** ،يعجز البشر أن يأتوا بمثله زمن الوحي.

وأما قولنا "**زمن التكليف**" فهي إضافة ضرورية في التعريف حتى تدخل الأمور العلمية وغيرها التي تكلم عنها الرسول-ﷺ- أو أشار إليها في أحاديثه المختلفة، ذلك أن كثيرا منها أصبح يفهم شيئا فشيئا في ظل الاكتشافات العلمية الحديثة[4].

وليس من شرط الآية التي تظهر على يد المصطفى-ﷺ – التحدي الصريح بها –كما بينا ذلك سابقا-، فقد ظهرت خوارق العادات بين أتباعه وأصحابه لتثبيتهم ورحمة من الله تعالى لهم، – والله أعلم-.

---

[1] _ ينظر: ابن فارس : معجم مقاييس اللغة (60/3)، ابن منظور : لسان العرب (220/13).

[2] _ السخاوي : فتح المغيث (10/1).

[3] _ الإعجاز العلمي في السنة النبوية تعريفه وقواعده : (9)

[4] _ ينظر : صالح رضا : الإعجاز العلمي في السنة النبوية (21/1)

وقد تضمنت السنة النبوية الكثير من الآيات والدلائل على صدقه -ﷺ -، وأنه بشر موحى إليه من ربه، فهو نبي مرسل ومؤيد من الله – عز وجل-.

ثانيا:ضوابط القول بالإعجاز في السنة النبوية

إن خطورة القول بالإعجاز في أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم- ونسبة هذا الأمر إلى السنة النبوية المطهرة، يستوجب الالتزام والتقيد بمجموعة من الضوابط العلمية الدقيقة حتى لا يكون ثمة شطط أو تعد قد يجر الويلات ويفتح أبواب الشبهات والطعن في أصل أصيل وركن ركين من أركان هذا الدين، هذه الضوابط هي[1]:

1/ ثبوت حجية هذه الأحاديث فموضوع الإعجاز في السنة النبوية يجب أن يستند على حديث صحيح، وما كان في دائرة القبول مما شهد له العلماء بذلك، أما الأحاديث الضعيفة، فلا يجوز لنا أن نحتج بها. ذلك أن الكلام في إعجاز السنة فرع عن ثبوتها.

2/ تناول الحديث تناولا إحاطيا ومحاولة فهمه في إطاره الموضوعي ذلك أن أفضل ما يوضح مفهوم نص الحديث النبوي و يبين معناه مجموع رواياته وما جاء من نصوص حول الموضوع الذي يبحث فيه، ولذا كان على الباحث أن يجمع كل ما ورد في ذلك من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية برواياتها الصحيحة، إضافة إلى أقوال الصحابة.

ويدخل في هذا اعتبار ما في النص النبوي من الحقيقة أو المجاز، فيفسر حسب ذلك على ظاهره ما لم يكن في النص قرينة على إرادة المعنى المجازي، أو في نصوص أخرى ثابتة بيان للمعنى المراد.

3/ إجراء النص النبوي الوارد على ما تعرفه العرب وقت نزول القرآن من المفاهيم والمعاني التي تستخدم لها الكلمة العربية الموجودة في هذا النص، فاللغة هي الضابطة للنص، باعتبار الحديث النبوي عربي التركيب، عربي المعاني والبيان، وليس المفهوم الحادث، أو الفهم الذي يخطر للإنسان خارج نطاق اللغة هو الذي ننزل النص عليه.

4/ أهلية المتكلم في الإعجاز بأن يكون عالماً متثبتاً جامعا بين علوم وفنون شتى.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القول بالإعجاز يجب أن يتوافر عليه فريق متكامل من أهل العلم بشتى

---

[1] _ ينظر:صالح أحمد رضا :تجربتي مع الإعجاز(69)،بازمول: الإعجاز العلمي في السنة النبوية تعريفه وقواعده (46-48)

أنواع التخصص حتى يتمكنوا من الإحاطة بدقائق العلوم التي يحتويها النص النبوي.

ثالثا: وجوه الإعجاز في السنة النبوية

إن جوانب ما في الأحاديث من دلائل صدقه- ﷺ- غير سيرته وشمائله متعددة، ومتجددة تجدد العلوم وتطور البحوث والاكتشافات، يمكن في عصرنا تحديدها في مجموعة من الوجوه، هي:

– **الوجه الأول** : ما تضمنته سنته-ﷺ- من الفصاحة و البلاغة، وهو ما يمكن التعبير عنه **بالإعجاز البلاغي** –تجوّزا-.

– **الوجه الثاني** : ما تضمنته سنته-ﷺ- من صور فنية هي عبارة عن إضاءات متمكنة من موقعها، مسهمة في إيضاح الفكرة، مبرزة الجمال الفني والأدبي والبياني في الحديث النبوي، وهو ما يسميه بعضهم **بالإعجاز الفني** – تجوزا-، ولهذا الوجه علاقة وطيدة بالوجه الأول لارتباطهما باللغة وأساليب البيان.

– **الوجه الثالث** : ما تضمنته سنته-ﷺ- من تشريعات تخرج عن حد قدرة البشر، يشهد بصلاحيتها و إصلاحها للبشرية جمعاء الواقع يوما بعد يوم، وهو ما يدرس اليوم تحت مسمى **الإعجاز التشريعي**.

– **الوجه الرابع** : ما تضمنته سنته-ﷺ- من الإخبار عن أمور غيبيات وقعت كما أخبر عنها –عليه الصلاة والسلام-، وهي على أنواع:

النوع الأول : الأحاديث التي تضمنت الإخبار عن حوادث كائنات، وعلامات ستكون في المستقبل، فوقعت كما أخبر-ﷺ-، سواء في حياته أو بعد مماته.

النوع الثاني : ما أخبر عنه-ﷺ- من المغيبات عند الأمم السابقة.

ويسمى هذا الوجه **بالإعجاز الغيبي**.

– **الوجه الخامس** : ما تضمنته سنته-ﷺ- من قيم تربوية تشكل منظومة رفيعة المستوى، تتناغم مفرداتها في وحدة متسقة اجتماعيا، ونفسيا وخلقيا، بغرض تقويم السلوك البشري, والارتقاء بالأداء الفردي والمجتمعي، وهو **الإعجاز التربوي**.

– **الوجه السادس** : ما تضمنته سنته-ﷺ- من الإخبار عن أمور كشفت الدراسات الوضعية عن صدق وصحة ما أخبر به-ﷺ- ، وهو ما يخص باسم **الإعجاز العلمي**، ويشمل

فيما يشمل الإعجاز الطبي، وهو نوع من الإعجاز الغيبي، غير أنه يفرد بالذكر لأهميته.

– الوجه السابع : ما تضمنته سنته-ﷺ- من الآيات التي رآها الصحابة حسا، وهو ما يمثل **معجزات الرسول -ﷺ- الحسية**.

أما الأوجه الستة الأولى فتتعلق بالجانب العقلي فهي معجزات عقلية، وعليها مدار موضوع هذه المذكرة.

المحاضرة الثانية :

الوجه الأول: الإعجاز البلاغي في السنة النبوية

القسم الأول : حقيقة البلاغة النبوية و أدلة وأسباب رقيّها.

أولا : تعريف البلاغة لغة واصطلاحا:

البلاغة في اللغة : الوصول والانتهاء[1].

البلاغة عند أهل الاصطلاح هي : مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أي ملاءَمة الكلام للمقام الذي يُقالُ فيه، والأشخاصِ الذين يُخاطَبون به، مع فصاحته.

فكلما كان الكلام مع فصاحة ألفاظه وجمله أكثر مطابقة ومناسبة لأحوال المخاطبين وتأثيرا في نفوسهم كان أعلى حسنا ، وأرفع منزلة، وأبلغ حالا.

و**الفصاحة** عندهم : أن يكون في اللفظ استئناس، وأن يكون ظاهرا متبادرا إلى الذهن له في النفس أَثَرٌ خلابٌ.

و**الكلامُ الفصيحُ** : ما كان واضحَ المعنى، سهل اللفظِ، جيِّدَ السَّبك، كلُّ كلمة فيه جاريةً على القياس الصَّرفي، بينةً في معناها، مفهومةً عَذْبةً سلِسةً، وإنما تكونُ الكلمة كذلك إذا كانت مأْلوفَةَ الاستعمال بَين الناهِين من الكتاب والشعراءِ، لأنها لم تَتَداولها ألسِنتُهم، ولم تَجْرِ بها أقلامهم، إلا لمكانها من الحُسْن باستكمالها جميع ما تقدم منْ نُعوت الجوْدة وصِفاتِ الجمال[2].

- وقال **الرمَّاني** :"هي إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"[3].

- وعرفها **العسكري** ، فقال :" البلاغة كل ما تبلّغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن "[4].

وعليه فأساس البلاغة ثلاثة أركان، هي:

أ/ الإفهام، فما لا بيان فيه لا بلاغة له، وكل إبهام مخل بالفهم.

ب/ الإقناع، فإن ما لا قدرة له على الإقناع لا انتهاء له إلى مقصود، فضعف الفكرة وتهافت

---

[1] _ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (301/1)، ابن منظور : لسان العرب (420/8).

[2] _ ينظر : القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة (7، 13)، علي الجارم : البلاغة الواضحة (5).

[3] _ النكت في إعجاز القرآن: (75).

[4] _ كتاب الصناعتين: (10).

المنطق إخلال بالإقناع.

ج/ الإثارة، فإن ما لا إثارة له لا سبيل له إلى التمكين في القلب، والتحكم في الهوى، ومن ثم إدراك الغاية[1].

ثانيا : حقيقة البلاغة النبوية.

البليغ من الناس من يحسن اختيار الألفاظ ووضع الجمل وما يشابهها من الكلام في موضعها، ويستخدمها حيث ينبغي استخدامها، ويبلغ بها المعاني والمقاصد التي يرنو إليها. وهذا أمر يتفاوت فيه الناس، ومن هنا وجد تفاوت في مقدار بلاغة كل واحد منهم.

أما بلاغة المصطفى -ﷺ- فهي أسمى درجات البلاغة الإنسانية، و الأحاديث النبوية مواعظ كانت أم خطبا أم رسائل أم قصصا أم أدعية أم أمثالا وحكما أم مناجاة أم عبرا، في الذروة من البيان في أدب العرب، ولا يرتفع فوقها في مجال الأدب الرفيع إلا كتاب الله بلاغة وفصاحة وروعة، ذلك أن بلاغته -ﷺ- تبقى في حدود البيان "الإنساني" أو بلاغة البشر ولا تصل بحال إلى درجة البيان القرآني الذي بلغ قمة الإعجاز المتحدى به، فبلاغة النبي -ﷺ- تقع على القنطرة الواصلة بين إعجاز القرآن وبلاغة البلغاء[2].

- قال الجاحظ –واصفا بلاغة الحديث النبوي-:" هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثرت معانيه، وجلَّ عن الصنعة، ونزِّه عن التكلف...واستعمل[3] المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب والوحشي، ورغب عن الهجين السوقي ... وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة

---

[1] _ ينظر : بو منجل : تأصيل البلاغة (120)

" يتبين مما سبق أن البلاغة ترجع في أصولها العامة إلى تحقق العناصر الآتية :

أ/ الالتزام بما ثبت في متن اللغة والنحو والصرف ، واختيار الفصيح من المفردات والجمل والقواعد.

ب/ الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد.

ج/ الاحتراز عن التعقيد في أداء المعاني المرادة، سواء من جهة اللفظ أو من جهة المعنى.

د/ انتقاء الكلمات والعبارات الجميلة، التي يدرك جمالها الحس المرهف والذوق الرفيع لدى البلغاء.

هـ/ تصيد المعاني الجميلة، وتقديمها في قوالب لفظية ذات جمال" محمد السيد تحقيق جوهر الكنز لابن الأثير الحلبي (37)

[2] _ ينظر : عدنان زرزور: سمات البلاغة النبوية بين الجاحظ والرافعي والعقاد(237).

[3] _ يعود الكلام هنا على الرسول-ﷺ- المذكور في الكلام الذي قبله والمحذوف من النص.

عدد الكلام ... لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يُبْذِ (يغلب) الخطب الطوال بالكلام القصير...ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج(الفوز والغلبة) إلا بالحق ولا يستعين بالخلابة (الخديعة بحسن الكلام ورقيق الحديث)، ولا يستعمل المؤاربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر... لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أفصح عن معناه ولا أبين في فحواه من كلامه- ﷺ-"[1].

ثم قال: "ولعل بعض من لم يتسع في العلم ولم يعرف مقادير الكلام يظن أنا تكلفنا له من الامتداح والتشريف ومن التزيين والتجويد ما ليس عنده ولا يبلغه قدره ،كلا والذي حرم التزيد على العلماء وقبح التكلف عند الحكماء وبهرج الكذابين عند الفقهاء لا يظن هذا إلا من ضل سعيه"[2].

وقال أبو حيان -يصف بلاغة السنة- :" والثاني سنة رسول الله -ﷺ-؛ فإنها السبيل الواضح، والنجم اللائح، والقائد الناصح، اهم الملامح، والغاية في البيان؛ والنهاية في البرهان، والفزع عند الخصام، والقدوة لجميع الأنام"[3].

وقال القاضي عياض:" وأما فصاحة اللسان ، وبلاغة القول ، فقد كان النبي-ﷺ- من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان ، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعُلّم ألسنة العرب، يخاطب كل أمة منها بلسانها ، ويحاورها بلغتها ، ويباريها في منزع بلاغتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه و تفسير قوله .ومن تأمل حديثه و سيره علم ذلك وتحققه"[4].

فهذه الأوصاف جمعت أسرار بلاغته -ﷺ- وأسبابها، وشملت المواد الأربعة التي يرى كبار النقاد أنها سدى الكلام ولحمته : العاطفة، الفكرة، الصورة والعبارة؛ فقد دلت هذه الأوصاف

---

[1] _ البيان والتبيين: (221).

[2] _ البيان والتبيين: (222).

[3] _ البصائر والذخائر: (8/1).

[4] _ الشفا من حقوق المصطفى: (159).

على الإيجاز من غير إخلال، وعلى الإفصاح من غير إسفاف، وعلى الفخامة من غير إغراب، وعلى حلاوة النظم من غير تصنع، وعلى تناسب أجزاء الكلام من غير تكلف، وعلى رقي العاطفة وسمو المعنى، وعلى قوة الحجة ورواء الفكرة وجلاء الحكمة[1].

فهو -ﷺ- أفصح العرب، لكن الفرق بينه وبين الفصحاء يتفق مثله في الناس ويبقى في حدود الطاقة البشرية، وليس أمرا خارقا للعادة بالكلية، بل إن الفرق بينه وبين الفصحاء يشبه الفرق بين البليغ والأبلغ...والحسن والأحسن...ولذا فقد استطاع بعضهم أن يأتي بقريب من كلامه -ﷺ-، وبذلك يفسر وجود الحديث الموضوع، إذ أن هؤلاء الوضاعين كانوا يتحرون احتذاء رسول الله -ﷺ- بأسلوبه وخصائصه البيانية[2].

ثالثا : أدلة تفوق وسمو البلاغة النبوية.

اختلفت وتنوعت الأدلة على تفوق وسمو البلاغة النبوية بين نقلية وعقلية وتاريخية، نذكر منها:

أ/ الأدلة النقلية[3] :

- **من القرآن الكريم:**

– قال تعالى:﴿**فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا**﴾[النساء : 63] قال نور الدين عتر:" هذه الآية شهادة من الله لرسوله -ﷺ- بغاية القدرة على الكلام البليغ، والبيان الناجح الأثر في أعماق النفوس"[4].

- **من السنة النبوية:**

– عن أبي هريرة -رضي الله عنه -أن رسول الله -ﷺ- قال : [**بعثت بجوامع الكلم...**] وفي رواية عند مسلم : [**وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ...**] وفي أخرى: [**أعطيت جوامع الكلم...**] [5].

- **من أقوال الصحابة:** جيل الصحابة جيل الفصاحة والبيان الأكمل في تدرج الأدب العربي القديم، وهم الذين تذوقوا إعجاز القرآن وخضعوا لبيانه المعجز، وما منهم أحد إلا وهو في البيان

---

[1] _ ينظر : بو منجل : تأصيل البلاغة (124)

[2] _ محمد الصباغ: الحديث النبوي(53)،

[3] _ بعض ما ورد من نقول وشهادات بسمو ورفعة وتفوق بلاغة النبي –صلى الله عليه وسلم – وبلوغها الذروة .

[4] _ في ظلال الحديث النبوي :(11)

[5] _ البخاري:الصحيح: ك: الجهاد، ب: قول النبي-ﷺ-: نصرت..،ح(2815)،مسلم:الصحيح: ك: المساجد،ح(523)

والفصاحة بحر زاخر، ونجم زاهر، وقد شهدوا للحديث النبوي الشريف بسمو البيان، ورفعة البلاغة، وعمق التأثير في القلوب، وهذه بعض الأمثلة والشواهد على ذلك:

– حديث حنظلة –وكان من كُتّاب رسول –ﷺ–، قال: " لقيني أبو بكر، فقال :كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت : نافق حنظلة . قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله–ﷺ– يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين (لقوة البيان ودقة التصوير) فإذا خرجنا من عند رسول الله –ﷺ– عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرا .قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله –ﷺ– قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله –ﷺ– : [**وما ذاك؟**] قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا. فقال رسول الله–ﷺ–: [**والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة** –ثلاث مرات–] " [1].

– قال العرباض –رضي الله عنه–:"صلى بنا رسول الله –ﷺ– ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال:[**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**] [2]

- **من أقوال أئمة اللغة والأدب العربي والنقد:** وهي كثيرة جدا في كل عصر، نسوق جملة منها فيما يأتي:

– قال علامة الأدب وناقد الشعر إمام نحاة البصرة **يونس بن حبيب**:" ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله –ﷺ–" [3].

---

[1] _ مسلم: الصحيح :ك: التوبة، ح(4937).

[2] _ أبو داود: السنن: ك: السنة، ب: في لزوم السنة، ح(3991).

و الترمذي : الجامع: ك: صفة القيامة، ب : ما جاء في الأخذ بالسنة، ح(2600) وقال: حديث حسن صحيح.

[3] _ الجاحظ: البيان (222).

– وقال إمام التفسير البلاغي للقرآن **الزمخشري** :" ثم إن هذا البيان العربي كأن الله –عزت قدرته –مخضه وألقى زبدته على لسان محمد عليه أفضل صلاة وأوفر سلام، فما من خطيب يقاومه إلا نكص متفكك الرجل، وما من مصقع (بليغ) يناهزه إلا رجع فارغ السجل، وما قرن بمنطقه منطق إلا كان كالبرذون مع الحصان المطهم ،ولا وقع من كلامه شيء في كلام الناس إلا أشبه الوضح في نقبة الأدهم، قال –عليه السلام –:[**أوتيت جوامع الكلم**] ، وقال :[**أنا أفصح العرب بيد أني من قريش واسترضعت في بنى سعد بن بكر**]" [1].

– وقال أديب العصر **مصطفى صادق الرافعي** : " هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تُصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يتكلف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة. ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله ...محكمة الفصول، حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفضول، حتى ليس فيها كلمة مفضولة. وكأنما هي في اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلم، وإنما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطره –ﷺ–.

إن خرجت في الموعظة قلت: أنين من فؤاد مقروح، وإن راعت بالحكمة قلت صورة بشرية من الروح ... وهي البلاغة النبوية، تعرف الحقيقة فيها كأنها فكر صريح من أفكار الخليقة، وتجيء بالمجاز الغريب فترى من غرابته أنه مجاز في حقيقة. وهي من البيان في إيجاز تتردد فيه عين البليغ فتعرفه مع إيجاز القرآن فرعين...على أنه سواء في سهولة إطماعه، وفي صعوبة امتناعه، إن أخذ أبلغ الناس في ناحيته، لم يأخذ بناصيته، وإن أقدم على غير نظر فيه رجع مبصراً، وإن جرى في معارضته انتهى مقصراً"[2].

وقال **عصام قصبجي** فيما نقله عنه نور الدين عتر:" إذا كان البليغ من يؤلف بين نور القلب ونور اللسان، فلا يكون ما يقوله كلاما من الكلام، وإنما يكون روحا من الروح، ولا يكون حروفا تنظم،

---

[1] _ الفائق في غريب الحديث: (10/1).

نكص: تأخر وغُلب، متفكك الرجل: كناية عن الإخفاق، المصقع: البليغ الذي لا يرتج في كلامه، يناهزه : يدانيه، السِّجْل : الدلو، والعبارة كناية عن الاخفاق أيضا، البرذون: يطلق على نوع غير عربي من الخيل والبغال ضخم غليظ الأعضاء، المطهم : التام المتناهي الحسن، الوضح: الضوء وبياض الصبح، نقبة الأدهم: آفته من داء أو جرب، الأدهم: الأسود من الإبل أو الخيل

[2] _ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية :(279، 280)

وإنما يكون حروفا تلهم، فذلكم هو الرسول الأفصح الأبلغ رسول الله-ﷺ - : تكلم فأوجز، وأشار فأوحى، وكنى فأوضح، وأومأ فأعلم، ورمز فألهم، وشبه فأحكم، فليت شعري أين الشعر أم أين السحر من حديث كأنه تسبيح الفلك ، أو ترانيم الوجود، ينساب في الأفهام قبل الأسماع، وفي القلوب قبل الأفهام! طوبى لقلب أشرب برد حديثه كوثرا عذبا، حتى عرج على إيقاع الغبطة إلى سدرة المنتهى "[1]

ب/ الأدلة العقليـة والتاريخية:

– يقول حسن جاد : " إذا كان العرب أمة البلاغة، وأئمة الفصاحة، تعنو لهم أزِمَّة القول، وتنقاد أعنة الكلام، ويهتفون بروائع الخيال، فينصاع لهم عصيه، ويذل لهم أبِيُّه، وينقاد شامسه، وإذا كان الكلام صناعتهم التي بها يباهون ويتشدقون، فلا بد أن يكون الرسول الذي يبلغهم عن ربهم، ويهدم عقائدهم الباطلة، ومذاهبهم الزائفة، ويغير ما ألفوا من عادات، وما ورثوا من تقاليد ..لا بد أن يكون بيانه أسمى من بيانهم، ومنطقهم أبلغ من منطقهم، ومن هنا كان تأييد الله سبحانه له بمعجزة القرآن وحجة البيان "[2].

– لقد أرسل الرسول -ﷺ- إلى قوم هم أئمة البيان وهم في خصومته قوم لد، لا تنقطع بهم حجة، ولا يعوزهم منطق بليغ، قد نعتوا الرسول بأوصاف عديدة كيدا ومخاصمة، ولكنهم لم يستطيعوا أن ينعتوه بما ينال من فصاحته، لأنهم يعلمون أن مثل هذه الفرية زائفة باطلة لدى دهماء الناس جميعا[3]، فسكوتهم عن الطعن في منطقه -ﷺ- إقرار منهم واعتراف بسلامته، وبسمو بلاغته وتنزهها حتى عن مجرد الانتقاص و الازدراء. قال الرافعي بعد أن عدد جملة من عيوب الكلام سلم منها حديثه -ﷺ- : " لا نرى العرب قد أقروا له بالفصاحة إلا وقد نزه -ﷺ- عن جميعها، وسلم كلامه منها-العيوب-، وخرج سبكه خالصاً لا شوب فيه،... ولو هم اطلعوا منه على غير ذلك، أو ترامى كلامه إلى شيء من أضداد هذه المعاني، لقد كانوا أطالوا في رد فصاحته وعرضوا، ولكان ذلك مأثوراً عنهم دائراً على ألسنتهم، مستفيضاً في مجالسهم ومناقلاتهم، ثم لردوا عليه القرآن ولم يستطع أن يقوم لهم في تلاوته وتبيينه، ثم لكان فيهم من يعيب عليه في مجلس

---

[1] _ في ظلال الحديث النبوي : (16).

[2] _ البلاغة النبوية وأثرها في النفوس، مجلة البحوث الإسلامية، ع:5، محرم/جمادى الثانية:1400هـ ص:150، بو منجل: تأصيل البلاغة (114).

[3] _ محمد الصباغ: الحديث النبوي- مصطلحه، بلاغته، كتبه - (51).

ومحاضرة أصحابه، أو ينتقص أمره ويغض من شأنه، فإن القوم خلص لا يستجيبون إلا لأفصحهم لساناً، وأبينهم بياناً، وخاصة في أول النبوة وحدثان العهد بالرسالة فلما لم يعترضه شيء من ذلك، وهو لم يخرج من بين أظهرهم، ولا جلا عن أرضهم، ورأينا هذا الأمر قد استمر على سننه واطرد إلى غايته وقام عليه الشاهد القاطع من أخبارهم ...،علمنا قطعاً وضرورة أنه -ﷺ- كان أفصح العرب، وافياً بغيره كافياً من سواه، وأنه في ذلك آية من آيات الله لأولئك القوم"[1]

– بلغ النبي -ﷺ- أرقى مراتب الكمال البشري خُلقا وخَلقا، يقول عبد المالك بومنجل:" وهو كمال شامل لا يغادر قيمة من قيم الحياة، ولا ملكة من ملكات الكائن البشري، فهو كامل في عقله، كامل في خلقته وخلقه، كامل في معاملته وأسلوب تربيته ، ومنهج دعوته، وطريق سياسته وقيادته وإدارته لشؤون الحياة، فلا بد أن يكون من ضمن هذه الكمالات كماله في بلاغته"[2].

رابعا : أسباب رقي البلاغة النبوية.

تعددت الأسباب التي أدت إلى بلاغته -ﷺ-، وأسهمت في علو كعبها ورفعة شأنها وتصدرها مقامات البلاغة البشرية، ومن هذه الأسباب:

1/ النشأة: حيث كان للنشأة اللغوية التي نشأها -ﷺ- تأثيرا كبيرا في فصاحته، فهو من قريش، وأخواله من بني زهرة، واسترضع في بني سعد بن بكر وكانوا من العرب الضاربة حول مكة، قد خصوا من بين القبائل بالفصاحة والبيان، كما خالط في حياته بطون قريش والأنصار، فكانت هذه النشأة مرانا حيا، بأحسن الأساليب، وأفصح اللهجات في العرب قاطبة[3].

2/ سلامة الفطرة ، وكمال الخَلق، وتوفيق الخالق: إن لسلامة الفطرة وكمال صفاته الخَلقية والخُلقية مساهمة فعالة في بلاغته -ﷺ-.

– أما الصفات الخَلقية فتحدث عنها الرافعي مطولا، مبرزا دلالة هذه الصفات على الكمال المحمدي الإنساني بوجه عام، وأثرها في البلاغة النبوية بوجه خاص، فقال – مثلا – وهو يحاول الربط بين صفة فمه الشريف وبين فصاحته وحسن بيانه، وإحكام منطقه :" قد رأيت فيما مر من

---

[1] _ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية :(286، 287)

[2] _ تأصيل البلاغة : (118).

[3] _ ينظر : محمد الصباغ : الحديث النبوي، مصطلحه بلاغته كتبه (53).

صفته عليه الصلاة والسلام أنه ضليع الفم، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه، وعلمت من معنى ذلك أنه كان يستعمل جميع فمه إذا تكلم، لا يقتصر على تحريك الشفتين فحسب، ولقد كانت العرب تتمادح بسعة الفم وتذم بصغره، لأن السعة أدل على امتلاء الكلام، وتحقيق الحروف وجهارة الأداء وإشباع ذلك في الجملة، ولأن طبيعة لغتهم ومخارج حروفها تقتضي هذا كله ولا تَحْسُن في النطق إلا به، ولا تبلغ تمامها إلا أن يبلغ فيها، وهو بعد مزيتها الظاهرة في أفصح أساليبها "[1].

وقال أيضا:" وقد وصفوه مع ذلك بحسن الصوت وهو تمامها وحليتها، فإن هذه اللغة خاصة تجمل بذلك ما لا تجمل به سائر اللغات لما فيها من معاني الأوضاع الموسيقية "[2].

– أما الخُلقية فمنها ما ذكرته عائشة –رضى الله عنها–قالت: "**ما كان رسول الله –ﷺ– يسرد كسردكم**[3] **هذا ولكن كان يتكلم بكلام بيِّن فصل، يحفظه من جلس إليه**"[4]، وفي رواية أخرى عنها أيضاً: "**كان رسول الله –ﷺ– يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه**"[5]

قال الرافعي :"وليس إحكام الأداء وروعه الفصاحة وعذوبة المنطق وسلاسة النظم إلا صفات كانت فيه –ﷺ– ...لم يتكلف لها عملاً، ولا ارتاض من أجلها رياضة بل خلق مستكمل الأداء فيها، ونشأ موفر الأسباب عليها، كأنه صورة تامة من الطبيعة العربية"[6].

– وأشار إلى توفيق الله في كل ذلك فقال : "ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له –ﷺ– إلا توفيقاً من الله وتوقيفاً ... فليس إلا أن يكون ما خص به النبي –ﷺ– من ذلك قد كان توفيقاً وإلهاماً من الله، أو ما هذه سبيله، مما لا ننفذ في أسبابه، ولا نقضي فيه بالظن فقد علَّمه الله من أشياء كثيرة ما لم يكن يعلم، حتى لا يعيا بقوم إن وردوا عليه، ولا يحصر إن سألوه، ولا يكون في كل قبيل إلا منهم، لتكون الحجة به أظهر، والبرهان على رسالته أوضح، وليعلم أن ذلك له خاصة من دون العرب ... وليس في العرب قاطبة من جمع الله فيه هذه الصفات، وأعطاه الخالص

---

[1] _ إعجاز القرآن: (295).

[2] _ إعجاز القرآن: (295).

[3] _ السرد : متابعة الكلام على الولاء والاستعجال به. وقد يراد به أيضا جودة سياق الحديث.

[4] _ أخرجه: البخاري : الصحيح : ك : المناقب، ب : صفة النبي – ﷺ–، ح(3375).
مسلم : الصحيح : ك : الفضائل، ب : فضائل أبي هريرة–رضي الله عنه–، ح(6554).

[5] _ أخرجه: البخاري : الصحيح : ك : المناقب، ب : صفة النبي – ﷺ–، ح(3374).
مسلم : الصحيح : ك : الزهد والرقائق، ب : التثبت في الحديث، ح(7701).

[6] _ إعجاز القرآن: (297).

منها، وخصه بجملتها، وأسلس له مآخذها، وأخص له أسبابها كالنبي -ﷺ- فهو اصطنعه لوحيه، ونصبه لبيانه، وخصه بكتابه، واصطفاه لرسالته "[1].

3/ تأثره بالقرآن الكريم[2] :كما أثر القرآن الكريم في الرسول -ﷺ- إرشادا وتوجيها وهداية، أثر فيه أيضا من ناحية البلاغة والبيان، إذ كان لتنزله عليه وقعا كبيرا على لسانه – عليه الصلاة والسلام- حيث أمده بمفردات وتراكيب، وتصورات، ومعان جديدة مما صقل ملكته البيانية، فملك بذلك ناصية البيان، وصار إمام المحدثين، و أفصح من نطق بلغة الضاد.

ومن هنا القرآن الكريم قمة البيان العربي، وآية النبي -ﷺ- المعجزة، فهو الأصل، ثم تليه في المرتبة الثانية أقوال النبي -ﷺ- وأحاديثه.

ومن الأمثلة على تأثره -ﷺ- بأسلوب القرآن :

– قوله -ﷺ- :[**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**] [3].

– قوله -ﷺ- :[**والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**] [4].

القسم الثاني : معالم البلاغة النبوية ووجوه إعجازها.

خامسا: معالم البلاغة النبوية.

في ضوء ما سبق يمكن أن نحدد معالم البلاغة النبوية في النقاط الآتية:

1/- الوضوح و فصاحة اللفظ: فألفاظ الأحاديث النبوية مألوفة مأنوسة، إلا عندما يقتضي المعنى لفظا يناسبه، فيختار الرسول اللفظ الأقل إلفاً، لكنه يتجنب الغريب الوحشي، والسوقي المبتذل، وألفاظه جزلة (قوية فصيحة جامعة) حين يقتضي المعنى الجزالة، رقيقة حين يقتضي المعنى الرقة، كل كلمة تعبر بدقة عن تمام معناها مستقرة في مكانها، غير قلقة (مضطربة) ، ولا مستجلبة،

---

[1] _ إعجاز القرآن: (283).

[2] _ ينظر : محمد الصباغ : الحديث النبوي، مصطلحه بلاغته كتبه (54).

[3] _ مسلم: الصحيح: ك: الذكر والدعاء،ح(4925).

[4] _ البخاري: الصحيح: ك: المناقب ،ب: علامات النبوة في الإسلام، ح(3343).

ولعل التوفيق بين هذين الجانبين من أشق ما يجتهد البليغ في تحقيقه، وهو من أقوى الدلائل على قدرته البيانية، وهذا وصف عام لكل الأحاديث[1].

لذلك وصف الرافعي أسلوب النبي -ﷺ- بأنه أسلوب منفرد، في هذه اللغة، قد بان من غيره بأسباب طبيعية فيه، فلا تكاد ترى فيه حرفا مضطربا، ولا لفظة مستكرهة على معناها، ولا كلمة غيرها أتم منها أداء للمعنى[2].

ومما جاءت ألفاظه جزلة من الأحاديث: قوله -ﷺ-: [**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**][3].

ومما جاءت ألفاظه رقيقة من الأحاديث: قوله -ﷺ-:[**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**][4].

وقوله -ﷺ-:[**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا حبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار**][5].

هكذا فإن سمة الوضوح وجزالة وفصاحة اللفظ هي السمة الغالبة على أحاديث النبي -ﷺ- لأن مهمته الأولى هي تبليغ هذه الرسالة، والنفاذ بها إلى قلوب الناس، ولن يتأتى ذلك إلا بهاذين الأمرين.

أما ما ورد من ألفاظ غير مأنوسة في بعض أحاديثه -ﷺ- تعقبها علماء اللغة والحديث بالشرح تحت ما يعرف اليوم بعلم غريب الحديث، فهي كما قال **البيومي** :"إما أنها كانت مفهومة مألوفة في العصر النبوي ثم غمضت من بعد فلا مجال للحكم عليها بالغرابة من غير المعاصرين، وإما أنها كانت غريبة وجاء بها القائل لتسد مسدا لا تفي به الكلمة المأنوسة، وهنا تكون الغرابة على ندرتها القليلة مما يحمد لأنها فتح جديد للفظ جديد... وكل ذلك نادر، نادر إذا قيس بما

---

[1] _ ينظر : عتر: أهم الملامح الفنية (68)، بومنجل: تأصيل البلاغة (124)

[2] _ إعجاز القرآن: (324).

[3] _ مسلم: البر والصلة، ح(2578)

[4] _ مسلم: البر والصلة، ح(2594)

[5] _ البخاري : الصحيح: ك : الإيمان، ب: حلاوة الإيمان، ح(16).ومسلم: الصحيح: ك: الإيمان، ح(43).

نتداوله من أدب محمد، وجله مشرق أنيس"[1].

2/- السهولة والقصد والبعد عن التكلف والمبالغة، حيث كان -ﷺ- يكره التصنع والإغراب وفضول القول، ولذلك جاء أسلوب حديثه حرا من كل قيد، خال من كل زخرف مستكره، يفيض عن فطرة سليمة صافية، ونفس مجتمعة هادئة [2]، وهذا الحديث المتفق عليه[3] يدل على ما ذكرنا أبلغ دلالة، قال -ﷺ -: [**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**]

فالحديث مع خطورة موضوعه وأنه يبين أركان الإسلام إلى جانب ما فيه من لطائف البلاغة والبيان بسيط الألفاظ، سهل الفهم.

وهكذا من استقرأ أحاديثه -ﷺ- وجد أغلب ألفاظها بعيدة عن التكلف، واضحة دلالاتها على المعنى القريب وحتى البعيد، تدرك منها العامة حظها من الفهم، فضلا عن الخاصة، وكذلك حال كل الأجيال المتعاقبة.

– أما ما كرهه -ﷺ – من التكلف في الكلام فمثاله ما جاء في الحديث الصحيح[4]:" **أنه لما قضى النبي على جماعة بديَّة جنين سقط باعتداء امرأة منهم على الحامل، فقال بعضهم –وهو حمل بن النابغة الهُذلي–: يا رسول الله، كيف يغرم من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل: فمثل ذلك يُطَل. فقال رسول الله –ﷺ–:[إنما هذا من إخوان الكهان]**، من أجل سجعه الذي سجع".

وكراهته له إنما ترجع إلى أصل عام هو التكلف الذي يمقته الإسلام، وأيضا محاولة إدحاض الحق بأسلوب السجع وتنسيق الكلام الذي اتبعه هذا القائل.

قال **النووي**:" قال العلماء : إنما ذم سجعه لوجهين : أحدهما : أنه عارض به حكم الشرع ورام إبطاله، والثاني : أنه تكلفه في مخاطبته ، وهذان الوجهان من السجع مذمومان "[5].

أما إذا سلم السجع من ذلك كله فهو زينة وحلية في الكلام، لا يأباه أدب البلاغة النبوية،

---

[1] _البيان النبوي : (259).

[2] _ ينظر : الصباغ : الحديث النبوي (68، 69)، عتر: أهم الملامح الفنية (69).

[3] _ البخاري : الصحيح: ك : الإيمان، ب: الإيمان وقول النبي-ﷺ-.. ،ح(8).ومسلم: الصحيح: ك: الإيمان، ح(16).

[4] _ البخاري : الصحيح: ك : الطب، ب: الكهانة، ح(5426).ومسلم: الصحيح: ك: القسامة، ح(1681).

[5] _ المنهاج : (11/ 178)

بل يقبله ويقول به، وفي الأحاديث كثير من السجع جاء عفوا لم يتكلف له، ولا هو مصطنع[1] ، ومن ذلك:

– دعاؤه –عليه السلام– :[**اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع**] [2].

– وكان –ﷺ– يقول:[**تعوذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء**] [3].

– قوله –ﷺ– يوم الأحزاب:[**لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده**] [4].

– عنْ عَائِشَةَ " **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ–كَانَ إِذَا اشْتَكَى الإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جَرْحٌ قَالَ النَّبِيُّ –ﷺ– بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا** وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا:[**بِاسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا بِرِيقَةِ بَعْضِنَا لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا**]" [5].

يضاف إلى هذه الأمثلة ما هو ملاحظ من التناغم والانسجام الموسيقي في نظام الكلام النبوي، مع أنه نثر بحث وهو محض البلاغة وقمة الفصاحة.

3/– مخاطبة كل إنسان بما يقتضيه حاله، فقد كان –ﷺ– يخاطب كل شخص بما يناسب حاله، وإدراكه، وواقعه، مع مراعاة أن تكون ألفاظ الخطاب ملائمة غاية الملاءمة للمعنى المطلوب، وتقديم المعنى المناسب أيضا للغرض الذي سيق لأجله الكلام، ويكون كذلك وصف فعله وحاله متكافئاً مع الأمر الذي يأمر به أو النهي الذي يزجر عنه، وربما اختار لكلامه حالة خاصة من أحواله، وهذا الذي يترجم المقصد الذي عرفوا به البلاغة، حين قالوا: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال[6].

– فقد يستعمل التوكيد لأنه أبلغ في إيصال المعنى المطلوب، ويختار من أساليب التوكيد ما

---

[1] _ عتر: أهم الملامح الفنية (71).

[2] _ مسلم: الصحيح: ك: الذكر والدعاء، ح(2722).

[3] _ البخاري: الصحيح: ك:القدر، ب: من تعوذ بالله..،ح(6242).ومسلم: الصحيح: ك: الذكر والدعاء، ح(2707).

[4] _ البخاري: الصحيح: ك:المغازي، ب: غزوة الخندق..،ح(3888).ومسلم: الصحيح: ك: الذكر والدعاء، ح(2724)

[5] _ مسلم: الصحيح: ك: السلام، ح(5848).

[6] _ ينظر : عبد المحسن العسكر: معالم بيان الحديث النبوي(33)، عتر: أهم الملامح الفنية (73).

يؤدي الغرض ويتناسب مع المعنى المقصود، فمثلا استعمل -ﷺ- التكرار في الحديث الصحيح[1]، الوارد في بر الوالدين، حين سأله بعض الصحابة: "**من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله؟ قال:[أمك]، قال: ثم من؟ قال: :[أمك]، قال: ثم من؟ قال:[ثم أمك]، قال: ثم من؟ قال: [أبوك]**".

قال **ابن عاشور** :" أن النبي -ﷺ- علم من السائل أنه يرمي إلى الإذن منه بحسن صحبة غَيْر أمه، على ما جرت به عادة أهل الجاهلية من التسامح في برِّ الأم بما للأبناء من إدلال عليها، وبما وُقر في نفوسهم من الإقبال على جانب الأب لاعتزازه بالرجولة والبطولة، فأراد النبي -ﷺ- أن يظهر له الاهتمام بجانب الأم للحذر من التفريط في حقها"[2]

فكرر الوصاية بالأم أولا وثانيا وثالثة ثم في الرابعة قال: **[ثم أبوك]**، وهذا في غاية البلاغة، لأن الأم آكد حقا من الأب، وذلك يحتاج للتأكيد، كما أن حاجتها إلى حسن الصحبة وجميل العشرة، وبذل المعروف أشد من الأب، فإن الأب أقوى من الأم، وله في الأرض مراغم كثيرة وسعة فضلا عن أن حاجة الابن لأمه تضعف عندما يكبر، بينما لا تضعف حاجته لأبيه بسبب الكبر، وهذا من دواعي النسيان أو التقصير معها دون الأب، فجاء الحديث بهذا التكرار والاهتمام والتأكيد ليقع في غاية المناسبة لمقتضى حال السائل، بل حال كل إنسان[3].

وأيضا استعمل القسم أسلوبا لتأكيد القول، وترسيخه، والأحاديث في ذلك كثيرة، منها حديث أنس بن مالك لما قدم النبي -ﷺ- المدينة ودخل عليه اليهود "... **فقال لهم رسول الله -ﷺ- :[يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله، فو الله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقا وأني جئتكم بحق فأسلموا]... قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ**"[4].

كثيرا ما يكون الكبر سببا في الكفر، فاليهود كانوا يعلمون صدق النبي -ﷺ- وأن دين الإسلام هو الدين الحق كما أخبرتهم بذلك كتبهم، لكنهم تجاهلوا وتغافلوا عن هذه الحقيقة الثابتة عندهم، وأعرضوا عنها كبرا وعلوا، فما كان منه -ﷺ- إلا أن أكد لهم بما يفيد اليقين من مؤكدات أقواها وأبلغها القسم أنه مطلع على أمرهم عالم بما غشى قلوبهم من كبر حجب عنهم

---

[1] _ البخاري: الصحيح: ك:الأدب، ب: من أحق الناس..،ح(5626).ومسلم: الصحيح: ك: البر والصلة، ح(2548)

[2] _ النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح : (228)

[3] _ عتر: أهم الملامح الفنية (73).

[4] _ البخاري: الصحيح : ك : فضائل الصحابة، ب: هجرة النبي -ﷺ - ح(3699).

نور الإيمان، لعلهم يفيقوا فيرجعوا إلى الحق المسطر في كتبهم..

والملاحظ أن كل قسمه -ﷺ- لا يكون إلا قسما بالله تعالى، وذلك امتثالا لحكم الشرع الذي يحرم على الناس القسم بغير الله تعالى، وأنه يستعمل أحيانا في القسم الاسم المتعارف « **الله**» كما في هذا الحديث:[**والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم، فلينظر بم يرجع**] [1].

فالحديث يقصد إلى إزاحة غشاوة الغفلة عن الآخرة لما اعتاده الإنسان من نعيم الدنيا، فبين غاية ضآلتها إلى جانب نعيم الآخرة، وأكد هذا البيان بالقسم، لتزداد الفكرة رسوخا وعمقا، ويتم إقبال السامع على المطلوب منه، ثم استعمل الحديث أسلوب الإيضاح وهو الإشارة بالأصبع وهي السبّابة كما صرح في رواية لمسلم، ومراده بذلك أن نعيم الدنيا بالنسبة لنعيم الآخرة في المقدار كذلك، أو ما الدنيا في قصر مدتها وفناء لذتها بالنسبة للآخرة في دوام نعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصابع إلى باقي البحر، ثم عبر بقوله:[**فلينظر بم يرجع**] ووضعه موضع قوله [فلا يرجع بشيء] لقصد التصوير الذي يجعل السامع مستحضرا لتلك الحالة بأن يستحضر صورتها شاهدة لديه[2].

– وربما أغرب الرسول -ﷺ- في اللفظ الذي يستعمله، وإن كان ذلك قليلا، لأنه لغة من أراد مخاطبته، كقوله لعطية السعدي:"[**فإن اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة**] قال: فكلمنا رسول الله بلغتنا"[3].-أي- في الإنطاء بمعنى الإعطاء-.

هذا الجنوح إلى الغريب من اللفظ إنما كان الداعي إليه هو داعي الإبانة ومطابقة الحال، وهو بعد دليل حكمة في الخطاب، وإحاطة باللغة، وسعة في الفصاحة، واقتدار على الإبانة[4].

– وقد يستعمل الرسول -ﷺ- الكلمة القاسية اللاذعة تحمل الأفكار الشديدة، والتوبيخ الرادع، فقد جاءه أحد ولاته، وفي يده ما زعم أنه هدية أهديت إليه، ورأى أنها من حقه، فبين له النبي -ﷺ- حكم الله في هذه ومثلها، بأسلوب فيه الوخزة الناقدة، والإشارة الموجعة.

---

[1] _ مسلم : الصحيح : ك: الجنة وصفة نعيمها، ح(7376)

[2] _ عتر: أهم الملامح الفنية (75).

[3] _ الحاكم : المستدرك ، ح(7930)(363/4)، وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه"ووافقه الذهبي.

[4] _ ينظر: بومنجل: تأصيل البلاغة (129).

روى الشيخان [1] عن أبي حميد الساعدي، قال: "استعمل رسول الله -ﷺ- رجلا على صدقات بني سُليم يدعى ابن اللُتبيه وهي أمه-بضم اللام وسكون التاء أو فتحها واسمه عبد الله- فلما جاء حاسبه، قال: هذا مالكم وهذا هدية، فقال رسول الله -ﷺ-: **[فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا]**، ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:**[أما بعد فأني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي، فيقول: هذا مالكم، وهذا هدية أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته، والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلا أعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار أو شاة** [2]**]**، ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطه، يقول: **[اللهم، هل بلغت، بَصرَ عَيْني، وسمع أذني]** "

قال **نور الدين عتر**: "فذكر الأم في هذا المعرض مؤلم أشد الإيلام، منفر أشد التنفير من قبول مثل هذه الهدايا التي تقدم للولاة، وكأن الجلوس في بيت الأب يأتي بشيء لأن الكسب من عمل الرجل، أما الجلوس في بيت الأم فليس مظنة للحصول على شيء من المال، ولا أمل للجالس فيه في هدية تهدى إليه لأنه يجلس حيث تجلس النساء لا عمل لهن إلا رعاية شؤون بيوتهن، وما أشبهه-حينئذ-بهن في العجز عن الكسب ... وفي كلمته-ﷺ-:**[إن كان صادقا]** تعريض شديد موجع، وكأني بهذا الرجل قد تصيب عرقا، واحترق أسفا، ولظني به قد تمنى أن يتخلى عن كل نصيب له في الدنيا ليفتدي نفسه من سماع هذه الكلمة من رسول الله-ﷺ- [3].

4/- الصناعة اللغـوية: هذا عنوان جامع لميزات متعددة من مميزات البلاغة النبوية تكلم عليها **الرافعي** :" إذا نظرت فيما صح نقله من كلام النبي -ﷺ- على وجه الصناعتين اللغوية والبيانية: رأيته في الأولى-يعني الصناعة اللغوية- مسدد اللفظ محكم الوضع، جزل التركيب، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات، فخم الجملة، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه واللفظ وضريبه في التأليف والنسق، ثم لا ترى فيه حرفاً مضطربًا، ولا لفظة مستدعاة أو مستكرهة عليه...." [4].

وما يصدق عليه ذلك كثير في أحاديث الرسول -ﷺ-، منها:

---

[1] _ البخاري: الصحيح: ك:الحيل، ب: احتيال العامل...ح(6578).ومسلم: الصحيح: ك: الإمارة، ح(1832)

[2] _ تيعر: من اليعار وهو صوت الشاة الشديد.

[3] _ أهم الملامح الفنية : (76، 77).

[4] _ إعجاز القرآن : (324 ،325).

– حديث:[**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وأن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا**] [1].

– وحديث:[**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**] [2].

5/– الصنعة البيانية[3]: تتجلى الصنعة البيانية في أحاديث الرسول –ﷺ– في اختيار ألفاظها وترتيبها بصور بديعة حيث تظهر الفصاحة والبلاغة والبيان بصورة يفهمها القارئ ويسهب في تدبرها.

وإلى هذا يشير **الرافعي** بقوله :"ورأيته في الثانية حسن المعرض، بيّن الجملة، واضح التفصيل، ظاهر الحدود، جيد الرصف، متمكن المعنى، واسع الحيلة في تصريفه، بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان، ثم لا ترى فيه إحالة ولا استكراها، ولا ترى اضطرابا ولا خطلا ، ولا استعانة من عجز، ولا توسعا من ضيق، ولا ضعفا في وجه من الوجوه"[4].

وجاء تفصيل وبيان كلا الصناعتين من قبل في كلام **الجاحظ**، قال:" وهو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثرت معانيه ... واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ... ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج (الفوز) إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة (المخادعة)، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطىء ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحين موقعاً، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى من كلامه –ﷺ–"[5].

---

[1] _ البخاري:الصحيح: ك:الأدب، ب:قول الله تعالى يا أيها..ح(5743)،ومسلم: الصحيح: ك:البر والصلة،ح(1832)

[2] _مسلم: الصحيح: ك:الإيمان،ح(54)

[3] _ والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ...لان مدار الامر والغاية التي إليها يجرى القائل والسامع انما هو الفهم والافهام فبأي شيء بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى فذاك هو البيان . الجاحظ: البيان والتبيين(55)

[4] _ إعجاز القرآن :(325).

[5] _ البيان والتبيين: (221)

فهو قمة السمو البياني في كلام البشر، ومن أساليبه في البيان:

– ضرب **الأمثال**:

-كما في قوله- ﷺ- :[**أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغسل فيه كل يوم خمس، هل يبقى من درنه شيء؟** قالوا: لا، **قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا**] [1].

-وقوله -ﷺ- : [**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم**...] [2].

– استعماله **القصة** :كقصة الأقرع والأبرص، والأعمى[3].

6/- العفوية والبداهة في إلقاء الحديث: يقول **الرافعي** : "بيد أن رسول الله- ﷺ- كان أفصح العرب، على أنه لا يتكلف القول، ولا يقصد إلى تزيينه، ولا ينبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة، ولا يجاوز مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده، ثم لا يعرض له في ذلك سقط ولا استكراه، ولا تستزله الفجاءة، وما يقتضيه القول على البداهة من أغراض الكلام عن الأسلوب الرائع، وعن النمط الغريب، والطريقة المحكمة"[4].

وليس هذا قول مبالغة، بل هو الحقيقة، فمعظم الأحاديث صدرت عنه لمناسبة سؤال أو حادثة، وهذه كتب السنة عامة، والكتب الخاصة ببيان أسباب ورود الحديث فيها آلاف الأحاديث، لا يخرج شيء منها عن حد ما وصفناه، ولا ينزل عن قدر ما عرفناه[5].

سادسا : وجوه إعجاز البلاغة النبوية.

اجتمعت في البلاغة النبوية خصائص وميزات لم ولن تجتمع في غيرها، وقد نجد من الميزة

---

[1] _ البخاري :الصحيح:ك:مواقيت الصلاة، ب:الصلوات الخمس كفارة..ح(505)، مسلم:الصحيح:ك:المساجدح(667)

[2] _ مسلم : الصحيح : ك : البروالصلة، ح(2585)

[3] _ ينظر: عتر: في ظلال الحديث النبوي (347).

[4] _ الرافعي: إعجاز القرآن (283).

[5] _ عتر : أهم الملامح الفنية (80).

في حين نجد الفصحاء من الشعراء والخطباء والبلغاء والمحترفين للكلام قبله وبعده- عليه الصلاة والسلام- يحشدون لفنهم، ويجمعون قواهم العقلية، ويهذبون كلامهم، ومع ذلك لا يأمنون العثار، وفي شعراء العرب من لقب بعبيد الشعر وأصحاب الحوليات؛ وهم الذين يمكثون حولا كاملا في نظم القصيدة الواحدة وتنقيحها، وكانوا يسمون قصائدهم بالحوليات، المقلدات، المنقحات، المحكمات . ينظر عبد المحسن العسكر : معالم البيان في الحديث النبوي(43)

الواحدة شذرات في كلام كبار البلغاء، ولكنها لا توجد في كلام أحد بالكثرة والوفرة والشيوع الذي نجده في البلاغة النبوية، الأمر الذي دفع ببعض العلماء إلى القول بأن الحديث النبوي معجز، لكن التحقيق الذي عليه الجمهور أن الحديث ليس معجزا بدليل قدرة كبار الصحابة أمثال أبي بكر وعلي بن أبي طالب –رضي الله عنهم– على محاكاته لطول ملازمة المصطفى –ﷺ– والتلقي عنه، إضافة إلى محاولة الوضاعين مجاراة أسلوبه لافتراء الأكاذيب عليه، ونسبتها إليه–ﷺ–

لكن مع ذلك فإن حديث الرسول –ﷺ– وإن لم يكن معجزا فإن فيه من سمو الفصاحة و دقة البيان ومزايا البلاغة العالية مالا يتوفر في غيره، مما يجعله خصوصية نبوية، ويدل على ذلك ما جاء على لسانه– ﷺ– في الحديث المشهور:[**أعطيت جوامع الكلم، واختصر لي الحديث اختصارا**] [1].

من هذه الميزات و الخصائص [2]:

1/– الإحاطة بلغات القبائل، ومخاطبة كل قوم بلغتهم، بل يفوقهم فيها فقد أوتي الرسول كما قال **القاضي عياض:**" عِلْمَ ألسنة العرب، يخاطب كل أمة منها بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في منزع بلاغتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله، ومن تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه، وليس كلامه مع قريش والأنصار، وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الكندي، وغيرهم من أقيال– ملوك ولأمراء– حضر موت وملوك اليمن، وانظر كتابه إلى همدان:[**إن لكم فراعها ووهاطها وعزازها، تأكلون علافها، وترعون عفاءها، لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق و الأمانة، ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل، و الفارض والداجن، والكبش الحوري، وعليهم فيها الصالغ والقارح**[3]] ، وكقوله لعطية السعدي:[**فإن اليد العليا هي المنظية واليد السفلى هي المنطاة]**

---

[1] _الدارقطني : السنن : ك : النوادر، ح(8)

[2] _ وقد أطلقنا عليها اسم "وجوه الإعجاز" تجوزا.

[3] _ الفراع: ما ارتفع من الأرض، والعزاز: ما خشن وصلب من الأرض، عفاءها: هو الذي ليس لأحد فيه ملك ولا أثر، دفئهم: المراد هنا الأنعام، سميت دفئا لأنها يتخذ من أوبارها وأصوافها وأشعارها ما يستدفأ به من الملابس وغيرها، الصرام: النخيل أو الثمار، لأنها تصرم، أي تقطع، الثلب: الهرم من ذكور الإبل، الناب: الهرمة من إناث الإبل، الغارض: المسن من الإبل والبقر، الداجن: الذي ألفت البيوت، الحورى كبش جلده أحمر، والمعنى أن هذه لاتؤخذ منهم في الزكاة إما لنفاستها كالحورى أو خساستها كالهرم، و الصالغ: ما دخل السنة السادسة من البقر والغنم. والقارح: ما دخل في السنة الخامسة من الخيل.

قال: فكلمنا رسول الله بلغتنا"[1].

قال **نور الدين عتر**:" وإنما كان هذا خصوصية، لأنه لا يتأتى لأحد إلا عن تعليم أو تلقين وأخذ من أحياء العرب... ومعلوم أن الرسول لم يفعل ذلك، ولا توفر له إطلاقا، بل أن العرب كانوا لا يستطيعون التحول عن لهجة قبيلتهم، ولحن لغتهم، كما أوضح في حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف، فليس ثمة إلا أن تكون هذه الخصوصية توقيعا وإلهاما من الله تعالى، كما قال له:﴿ **وعلمك مالم تكن تعلم**﴾"[2].

وهو ما يؤكده الإمام الشافعي وهو إمام اللغة العربية الخبير أغوارها:" لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا، ولا نعلم أنه يحيط بجميع علمه غير نبي"[3].

2/– الموضوعية في صياغة الكلام وتوجيهه، وتجريده عن الأشخاص: إن الأحاديث النبوية في الأعم الأغلب جاءت عفوية لسبب سؤال أو حادثة أو نحو ذلك، مع ذلك فإنك تجدها متحررة من أسر العامل الشخصي في المناسبة، بل من عوامل البيئة كلها، مجردة عن قيد الزمان والمكان حتى في الأمور المهمة التي يعز على البيان هذا التجرد فيها[4].

شواهد ذلك:

– الهجرة التي اعتبرها الصحابة والمسلمون أعظم أحداث السيرة وتاريخ الإسلام قد دخل موكبها إنسان[5] لقصد شخصي هو الزواج، فماذا كان المنطق النبوي، لقد جاء الحديث في هذا الصدد بعيدا عن هذا الشخص، وهو الحديث المشهور:[**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**] [6].

– الحديث الصحيح عن ابن عمر أن النبي –ﷺ– أدرك عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– يسير في ركب وهو يحلف بأبيه، فقال:[**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفا فليحلف بالله**

---

[1] _ الشفا من حقوق المصطفى: (159، 160).

[2] _ أهم الملامح الفنية في الحديث النبوي: (84).

[3] _ الرسالة: (42).

[4] _ نور الدين عتر : أهم الملامح الفنية في الحديث النبوي (84، 85).

[5] _ مهاجر أم قيس أحب امرأة وأراد الزواج بها فرفضت حتى يهاجر إلى رسول الله بالمدينة، فهاجر كي يتزوجها.

[6] _ البخاري: الصحيح :ك: بدء الوحي،ب: كيف كان بدء الوحي...ح(1)، مسلم : الصحيح :ك:الإمارة، ح(1907).

أو ليصمت][1].

فلم يخاطب عمر بن الخطاب وحده بهذا النهي والإنكار، بل قال (**ينهاكم**) خطابا للجميع عاما للأمة، وهذا لأن المقصود هو الإبلاغ بلاغا يتعدى الزمان والمكان.

3/– الأصالة: وتتمثل في وضعه مفردات وتراكيب جديدة، حيث تضمن حديثه –ﷺ– عبارات وألفاظ "مما لم يسبقه إليه عربي، ولم يشاركه فيه عجمي، ولم يدع لأحد، ولا ادعاه، ما صار مستعملا، ومثلا سائرا"[2].

وهي بعد من حسنات البيان، لم يتفق لأحد مثلها في حسن بلاغتها وقوة دلالتها وغرابة القريحة اللغوية في تأليفها وتنضيدها[3].

من أمثلة ذلك:

– **[لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين]**[4].

– **[الآن حمي الوطيس]**[5]،الوطيس التنور، قال الأصْمَعي : "هو حِجارَةٌ مُدَوّرَةٌ إذا حَمِيَتْ لم يَقْدِرْ أحَدٌ يَطَؤها" . وهو كناية عن شِدّة الأمرِ واضْطِرام الحَرْب وقيامها على ساق. ويقال إنّ هذه الكلمة أوّلُ من قالها النبي –ﷺ– لما اشتدّ البَأسُ يوم حنين ولم تُسْمَع قَبْله وهي من فَصِيح الكلام و أحْسن الاسْتِعارات[6].

– **[لا تكونوا إمَّعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطّنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا]**[7].

عن ابن مسعود– رضي الله عنه– قال :" كنا ندعو الإمعة في الجاهلية الذي يدعى إلى الطعام فيذهب معه بآخر " [8] فالإمعة في الجاهلية يطلق على من يتبع الناس إلى الطعام من غير أن يدعى إليه.

---

[1] _ البخاري: الصحيح :ك: الأيمان..،ب: لا تحلفوا بآبائكم، ح(6270)، مسلم : الصحيح :ك: الإيمان، ح(1646).

[2] _ الجاحظ : البيان والتبين (220)، ينظر: الصباغ: الحديث النبوي(116)، عتر: أهم الملامح(86).

[3] _ الرافعي: إعجاز القرآن (315).

[4] _ البخاري: الصحيح :ك: الأدب، ب: لا يلدغ المؤمن..ح(5782)، مسلم: الصحيح :ك: الزهد، ح(2998).

[5] _ مسلم : الصحيح :ك :الجهاد ،ح(1775)

[6] _ ينظر : ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث (1/488-9/320).

[7] _ الترمذي : الجامع: ك: البر والصلة ، ب: ما جاء في الإحسان والعفو،ح(2007) وحسنه.

[8] _ الطحاوي : شرح مشكل الاثار (15/408)، الزمخشري : الفائق (1/57).

– [**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**][1]، وقد جاء عند مسلم من روايته عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– "أن رسول الله –ﷺ– قال: [**ما تعدون الرقوب فيكم؟**] قال: قلنا الذي لا يولد له، قال:[**ليس ذاك بالرقوب ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئا، قال: فما تعدون الصُّرعة فيكم؟**] قال: قلنا الذي لا يصرعه الرجال، قال: [**ليس بذلك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب**]".

– [**بعثت في نفس الساعة**] [2] . أي أنه بعث والساعة قريبة منه، فوصف ذلك باللفظة التي تدل على أدق معاني الحس بالشيء القريب، وهي لفظة "نفس" كما يحس المرء بأنفاس من يكون بإزائه، ولا يكون ذلك إلا على شدة القرب[3].

4/– اجتماع المقاصد الأدبية: الصناعة اللغوية، والصناعة البيانية والحكمة وتكاملها في الحديث النبوي، حيث جمعت أحاديثه–ﷺ – الخالص من سرّ اللغة، ومن البيان، ومن الحكمة بعضها إلى بعض، قال **الرافعي**:" أما اللغة: فهي لغة الواضع بالفطرة القوية المستحكمة والمتصرف معها بالإحاطة والاستيعاب، وأما البيان: فبيان أفصح الناس نشأة، و أقواهم مذهبا، وأبلغهم من الذكاء والإلهام، وأما الحكمة: فتلك حكمة النبوة، وتبصير الوحي، وتأديب من الله، وأمر في الإنسان من فوق الإنسانية.

وأين من ذلك الفصحاء والبلغاء وأنّى لهم؟ وما قط عرفنا بليغا سلمت له جهات الصنعة في كلامه– من اللغة والبيان و الحكمة– على أتمها... ولا تحيَّفته إحدى هذه الثلاث، بإدخال الضيم على أخيتها في كلامه، و استبانة أثرها فيه وغلبتها عليه"[4].

5/– جوامع الكلم: و هو: "الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثرت معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه على التكلف"[5].

وهي ميزة تميزت بها أحاديثه –ﷺ– تكلم عنها في أحاديث كثيرة ومستفيضة، وعدها من المزايا والمنن التي أكرمه الله –عز وجل– وخصه بها، فقال– ﷺ–[**بعثت بجوامع الكلم، ونصرت**

---

[1] _ البخاري:الصحيح :ك: الأدب، ب:الحذر من الغضب،ح(5763)، مسلم :الصحيح :ك: البر والصلة، ح(2609)

[2] _ الترمذي : الجامع : ك: الفتن، ب: قول النبي –ﷺ–: بُعثت أنا والساعة...،ح(2214).

[3] _ الرافعي: إعجاز القرآن (328)

[4] _ إعجاز القرآن : (326).

[5] _ الجاحظ: البيان والتبين (221).

بالرعب] عند البخاري وفي رواية لمسلم: [**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب...]**.

قال **النووي** :" وكلامه -ﷺ- كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني"[1].

وقال **القرطبي** عن قول أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- : " **وكان رسول الله -ﷺ- قد أعطي جوامع الكلم بخواتمه**"[2] قال :" يعني بالجوامع : الكلمات البليغة ، الوجيزة الجامعة للمعاني الكثيرة ... ويعني بخواتيم الكلام : أنه يختم كلامه بمقطع وجيز بليغ كما بدأه بمبدأ وجيز بليغ جامع. ويعني بجملة هذا الكلام – والله أعلم – : أن كلامه من مبدئه إلى خاتمته كله بليغ وجيز"[3]

والإيجاز أبرز سمات البلاغة العربية، حتى قال بعضهم: البلاغة الإيجاز، وقد كان الإقلال من الكلام الطابع العام لحديث النبي -ﷺ- كما وصفته عائشة: "**لو عده العاد لأحصاه**"[4] وذلك قمة البلاغة، قال العقاد:" إلا أن الإبلاغ أقوى الإبلاغ في كلام النبي -ﷺ- هو اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار، بل اجتماع العلوم الوافية في بضع كلمات، وقد يبسطها الشارحون في مجلدات"[5].

ومن أمثلة ذلك: قوله -عليه الصلاة والسلام-:

- [**المسلمون تتكافأ دماءهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم**][6].
- [**مطل الغني ظلم**] [7].
- [**يد الله مع الجماعة**] [8].

---

[1] _ المنهاج : (5/5).

[2] _ مسلم : الصحيح :ك :الأشربة ،ح(1733)

[3] _ المفهم : (268/5).

[4] _ البخاري:الصحيح:ك: المناقب، ب:صفة النبي -ﷺ-،ح(3374)، مسلم :الصحيح :ك: الزهد والرقائق، ح(2493)

[5] _ عبقرية محمد: (88، 89).

[6] _ أبو داود :السنن:ك:الجهاد، ب :السرية،ح(2753)، النسائي:السنن:ك: القسامة، ب:القود بين الأحرار،ح(4734) ابن ماجه: السنن:ك: الديات، ب: المسلمون تتكافأ..ح(2683). وصححه الألباني.

[7] _ البخاري: الصحيح: ك: الاستقراض، ب:مطل الغني ظلم،ح(2270) ،مسلم :الصحيح: ك: المساقاة، ح(1564).

[8] _ الترمذي : الجامع :ك: الفتن، ب : لزوم الجماعة، ح(2166) . وصححه الألباني.

- **[الحياء شعبة من الإيمان]** [1].
- **[وما قل وكفى خير مما كثر وألهى]** [2].
- **[دعْ ما يريبك إلى ما يربك]** [3].
- **[لا ضرر ولا ضرار]** [4].
- **[الخراج بالضمان]** [5].

والحديثان الأخيران اتخذ كل منهما قاعدة فقهية عظيمة، وخرج عليهما من الفروع مالا يحصى.

ومنها أيضا الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، كالأحاديث التي وصفت بأنها نصف الإسلام أو ثلث الإسلام، حديث عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله -ﷺ- يقول:[**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**].

قال **الكناني** فيما نقله عنه الباجي : "سمعت أهل العلم يقولون: هذا الحديث ثلث الإسلام والثلث الآخر : ما رواه النعمان بن بشير أن رسول الله -ﷺ- قال: [**إن الحلال بين وان الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ**

---

[1] _ البخاري : الصحيح : ك: الإيمان ، ب:أمور الإيمان، ح(9)، مسلم : الصحيح : ك: الإيمان، ح(35).

[2] _ أحمد : المسند (53/36)ح(21721)، الحاكم : المستدرك (482/2)ح(3662) وصححه ووافقه الذهبي، ابن حبان : الصحيح (121/8)ح(3329).

[3] _ الترمذي: الجامع : ك: صفة القيامة، ح(2518)، النسائي: السنن: ك: الأشربة ، ب: الحث على ترك الشبهات، ح(5711)، وقال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح "،

وغيرها من الأحاديث الثابتة الصحيحة، مثل قوله- ﷺ-:[**كل مُيسر لما خُلق له**]،[**دعْ ما يريبك إلى ما يربك**]، [**إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة**]، [**الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**]،[**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**]،[**المُتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زور**]،[**اليد العُليا خير من اليد السُفلى**]، [**انصر أخاك ظالما أو مظلوما**]،[**المستشار مؤتمن**]،[**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**]

[4] _ مالك : الموطأ : ك: الأقضية ، ب: القضاء في المرفق...ح(1429)، ابن ماجه: السنن : ك: الأحكام، ب: من بنى في حقه ...ح(2518)، وصححه الألباني.

[5] _ أبو داود: السنن: ك: الإجارة، ب: فيمن اشترى عبدا، ح(5310)، الترمذي: الجامع : ك: البيوع، ب: فيمن يشتري العبد، ح(1285)، النسائي: السنن: ك: البيوع، ب: الخراج بالضمان، ح(4490)، ابن ماجه: السنن: ك: التجارات، ب: الخراج بالضمان، ح(2243)، وقال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح ".

لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل حمى، ألا وإن حمى الله محارمه][1].

والثلث الثالث : ما رواه مالك عن ابن شهاب عن علي بن حسين أن رسول الله -ﷺ- قال: [**من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه**]"[2] [3].

ومن جوامع كلمه أدعيته - ﷺ -، فقد جاءت موجزة جامعة، نحو قوله- ﷺ -: [**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال**] [4] . قال ابن القيم :" فجمع هذا الحديثُ الشريف في استعاذته- ﷺ- أُصولَ الشر وفروعه، ومبادِيَه وغاياتِه، وموارِدَه ومصادرَه، وهو مشتمل على ثماني خصال"[5].

6/- عصرية أسلوب الحديث لكافة الأزمان: لقد تجاوزت بلاغة النبي -ﷺ -حدود الزمان والعصر، فلم يكن قاصرا على عصره، ولا عصر أصحابه، ولا من بعدهم، وإنما جاء متماشيا منسجما مع كل عصر، وكأنه يخاطب أهله، ذلك لأنه جاء بهداية عامة لكل الناس في كل عصر ومصر[6].

وفي هذا يقول **الرافعي** : "ولذا ترى كلامه- ﷺ - يخرج من حدود الزمان، فكل عصر واجد فيه ما يقال له، وهو بذلك نبوة لا تنقضي، وهو حي بالحياة ذاتها "[7].

---

[1] _ البخاري : الصحيح: ك: الإيمان، ب: فضل من استبرأ لدينه، ح(52)، مسلم الصحيح: ك: المساقاة، ح(1599).

[2] _ مالك: الموطأ: ك: حسن الخلق، ب: ماجاء في حسن الخلق، ح(1604)، الترمذي: الجامع: ك: الزهد، ب:-، ح(2318)، ابن ماجه :ك: الفتن، ب:كف اللسان في الفتنة، ح(3976)، وصححه الألباني.

[3] _ المنتقى : (287/4).

[4] _ البخاري : الصحيح : ك: الإيمان ، ب:أمور الإيمان، ح(9)، مسلم : الصحيح : ك: الإيمان، ح(35).

[5] _ زاد المعاد في هدي خير العباد : (2 / 358)

[6] _ عتر : أهم الملامح الفنية (92،93).

[7] _ وحي القلم : (17).

المحاضرة الثالثة :

الوجه الثاني : الإعجاز الفني في السنة النبوية.

القسم الأول : تعريف الإعجاز الفني والتصوير الفني ووسائله البلاغية في الحديث النبوي

أولا : تعريف الفن لغة واصطلاحا:

الفن في اللغة : الفاء والنون أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدُهما على تعنِيَةٍ، والآخَر على ضربٍ من الضُّروب في الأشياء كلِّها.

فالأوّل: الفَنّ، وهو التعنية والإطراد الشّديد. يقال: فَنَنْتُه فَنّاً، إذا أطردتَه وعنّيْتَه.

والآخر الأفانين: الأساليب، أجناس الشّيء وطُرقُه. ومنه الفَنَن، وهو الغصن، وجمعه أفنان. ورجل متفنن، أي ذو فنون [1].

قال **ابن منظور**: "والرجلُ يُفَنِّنُ الكلام أَي يَشْتَقُّ في فَنٍّ بعد فنٍّ...ورجل مِفَنٌّ يأْتي بالعجائب...وافْتَنَّ الرجل في حديثه وفي خُطْبته إذا جاء بالأَفانين...يقال افْتَنَّ الحمارُ بأُتُنه واشْتَقَّ بها إِذا أَخذ في طَرْدِها وسَوْقها يميناً وشمالاً وعلى استقامة وعلى غير استقامة فهو يَفْتَنُّ في طَرْدِها أَفانينَ الطَّرْدِ ... وافْتَنَّ أَخذ في فُنُونٍ من القول"[2].

ومن هنا فإن لفظة الفن تفيد المهارة والإبداع [3].

الفن في اصطلاح الأدباء: هو المهارة في التحليل والصياغة والسبك، لتثير لدى القارئ صورا خيالية، وانفعالات شعورية، وإحساسات عميقة، واهتزازات نفسية، بحيث كلما كانت الاستجابات أعمق وأوفر كنا أقل استعدادا لأن نفصل أنفسنا عن ذلك الموقف الأدبي [4].

ثانيا : مفهوم الإعجاز الفني في السنة النبوية.

الإعجاز الفني في السنة النبوية هو ضرب من ضروب البلاغة النبوية إذ يبحث في الخصائص الجمالية للحديث النبوي.

---

[1] _ ابن فارس : معجم مقاييس اللغة (435/4)، الجوهري : الصحاح (8 / 35).

[2] _ لسان العرب : (13 / 326)

[3] _ عمر السلامي : الإعجاز الفني في القرآن (13)

[4] _ ينظر : عمر السلامي : الإعجاز الفني في القرآن (14)

والمراد بالإعجاز الفني في أحاديث المصطفى-ﷺ- هو القدرة الفائقة في الأسلوب، والبراعة المدهشة في عرض الأفكار والموضوعات بألفاظ حية موحية، وتعابير رشيقة خلابة تسحر العقول، وتثير منبهات النفس، فتنفعل وتتجاوب، وتستحيل المشاعر إلى قوة طاغية على كل الحواس [1].

و تعد الصورة الفنية قمة الإبداع البياني ومركزه، حيث تعمل على ربط القديم المتعارف عليه من الأشياء بالحديث الذي يمثل المعاني الجديدة التي يراد تبليغها والتعبير عنها.

وسنحاول إبراز الجوانب الفنية والجمالية في أحاديث النبي-ﷺ- من خلال عنصرين أساسيين هما:

- التصوير الفني في الحديث النبوي.
- الموسيقى النثرية في الحديث النبوي.

ثالثا : التصوير الفني في الحديث النبوي مفهومه ووسائله البلاغية.

من خصائص أسلوب الحديث النبوي القدرة على التصوير الموحي والتشبيه الموضح، بحيث يضع قارئه أمام لوحات وصور فنية معبرة رائعة، وممتعة.

أ/- مفهوم التصوير الفني في الحديث النبوي .

التصوير الفني هو نقل المعاني كأنها صورة تحدث أمام نفسك [2].

كان رسول الله -ﷺ- يؤثر التعبير عن المعنى المجرد بالصورة الحسية المستمدة من حياة المخاطبين، فيقدمه في لوحات فنية ساحرة الجمال، بليغة الدلالة، وما وفرة الصورة الفنية الجميلة في أحاديثه -ﷺ- إلا دليل على ذلك، حيث كان-ﷺ- يعبر عن "المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصور فيمنحها الحياة الشاخصة فإذا المعنى النفسي هيئة وحركة، وإذا الحالة النفسية وحدة ومشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص وحيّ"[3]،لأن ذلك أدعى إلى أن يفهموا مراده ويتأثروا به، إضافة إلى ما يضفيه ذلك على المعنى من فخامة وجمال ورقي. ذلك أن الصورة الفنية من أهم وظائفها الإخبار، والإمتاع والتأثير.

---

[1] _ ينظر : عمر السلامي : الإعجاز الفني في القرآن (14، 269)

[2] _ ينظر : سيد قطب : التصوير الفني في القرآن (36).

[3] _ ينظر : سيد قطب : التصوير الفني في القرآن(36).

ب/– الوسائل البلاغية للصورة الفنية.

اعتمد الحديث النبوي ثلاث وسائل بلاغية في تصوير المعاني وتقريبها، هي:

1/– الصورة التشبيهية.

2/– الصورة الاستعارية.

3/– الصورة الكنائية.

1/– الصورة التشبيهية: جاءت الصورة التشبيهية في الحديث النبوي إضاءات فنية داخل النسيج العام الجمالي الكلي، وساعدت في كشف المعنى، فارتبطت به ارتباطا وثيقا، خصوصا أن الحديث النبوي حريص كل الحرص على عناية المتلقي وفهمه وإدراكه حدود المعاني، لأن الفن الحديثي قالب الدين، وهو أحق من غيره بأن يكون قريبا من قلوب الناس، متفاعلا مع الأفهام والمشاعر وهذه نماذج منها –من الصورة التشبيهية–:

– حديث أبي موسى الأشعري–رضي الله عنه– عن النبي–ﷺ–قال:**[مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة: ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الرّيحانة ريحها طيب، وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر]**[1]

ضرب النبي– ﷺ– المثل بما تنبته الأرض ويثمره الشجر للمشابهة التي بينها وبين الأعمال فإنها من ثمرات النفوس، فخص ما يخرجه الشجر من الأترجة والتمر بالمؤمن، وما تنبته الأرض من الحنظلة والريحانة بالمنافق تنبيها على علو شأن المؤمن وارتفاع علمه ودوام ذلك[2]،وإيذانا بضعة شأن المنافق وإحباط عمله وقلة جدواه.

وهو تشبيه تمثيل لأنه منتزع من صورة مركبة: الريح والطعم، وإنما خصهما بالذكر لأنهما أظهر ما يشتهى من الطعام، وباعتماد هذا النوع من التشبيه يقدم الحديث تشكيلا فنيا بليغا، ولوحة فنية متعددة المشاهد:

المشهد الأول: المؤمن القارئ للقرآن المداوم على ذلك، ومثله كالأترجة، طيبة الطعم، طيبة

---

[1] _ البخاري: الصحيح:ك: الأطعمة، ب: ذكر الطعام، ح (5111)، مسلم: الصحيح:ك:، صلاة المسافرين، ح (797)

[2] _ وهو ما أفاده التعبير بالمضارع في "يقرأ" و "لا يقرأ" الدال على الاستمرار والدوام على القراءة وأن ذلك دأبه وعادته، وعليه فتجدد القراءة هو الذي يؤهل المؤمن للاتصاف بوجه الشبه.

الريح، فهو كذلك حلو الطعم، وهذا أمر قاصر؛ إذ الإيمان قاصر على العبد، وهو أيضا طيب الرائحة، لأن قراءة القرآن يتعدى نفعها إلى السامع، فيصير القارئ بمنزلة ناشر الريح الطيب فيمن حوله، وهذا أعلى درجات الانتفاع.

المشهد الثاني: المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، ومثله كالتمرة طيبة الطعم عديمة الريح، وهذا نفعه قاصر على نفسه، فالإيمان قد أطاب طعمه، ولكن لا ريح طيب له يجده من حوله.

المشهد الثالث: المنافق الذي يقرأ القرآن، ومثله كالريحانة طيبة الريح، مرة الطعم، فهذا يبث ريحا طيبة فيمن حوله، وإن كان مر الطعم لخبث طويته، فتصل بركة تلاوته إلى من حوله، وإن لم يستفد هو منها. وهنا يوحي التشكيل الفني بأن قراءة القرآن بمنزلة الرائحة الزكية، وإن انبعثت من الطوية السيئة للمنافق، فهي جمال لا ينكر.

المشهد الرابع: المنافق الذي لا يقرأ القرآن، ومثله كالحنظلة، مرة الطعم ولا ريح لها، وهو كذلك، لا طعم في نفسه، ولا ريح لغيره.

فالقمة في هذا النص يمثلها المؤمن القارئ، والحضيض يمثله المنافق غير القارئ، كما دل على ذلك المشبه به.

وعلى هذا ففي الحديث أربعة تمثيلات، اشتملت على معنى معقول صرف لا يتكشف عن مكنونه إلا تصويره بالمحسوس المشاهد، وقد أثار النص لأجل ذلك حاسة البصر في جمل المرئيات، وحاسة الشم في رائحة الأترجة والريحانة، وحاسة الذوق في طعم الأترجة والتمرة والحنظلة، وجاء هذا الجمال بوساطة صيغة (مثل كمثل)، ولهذا التطويل بُعده الفني في الجزئيات، فضلا عن احتواء الشكل الفني تمام الاحتواء للفكرة[1].

– حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– أنه سمع رسول الله – ﷺ– يقول:[**مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع**][2].

---

[1] _ ينظر : لاشين: من بلاغة الحديث (81، 82)، نصر الدين حسين : الدلالات البلاغية في الحديث (650)، ياسوف : الصورة الفنية في الحديث النبوي (145)

[2] _ البخاري: الصحيح: ك: الزكاة، ب: مثل المتصدق والبخيل، ح (1352)، مسلم: الصحيح: ك: الزكاة، ح(1696). ينظر توضيح وتفصيل ذلك: عتر: في ظلال الحديث (175).

2/– الصورة الاستعارية[1]: لقد أثبتت الصورة الاستعارية في الحديث النبوي جدارتها، وحافظت على مقدرتها الفنية على مدى العصور، وتملكت ناصية الفن الراقي، واستحوذت على إثارة بالغة للوجدان والخيالات، كما كانت شكلا فنيا مناسبا لمقاصد الفكرة، فلا يترك إلى شكل آخر، واعتمدت على عنصر المشابهة، وبذلك تنزهت عن الخطل، وأصابت حافة التأثير، لسلامة منشئها.

والشكل الاستعاري في الحديث النبوي غني بتكوينه وإتقانه ومهامه، لأنه يعتمد على المشاهدات وتقريب المتباعدات، تقريبا منطقيا لائقا بالفكر الديني السامي وغاياته الرفيعة، وهو غني بكونه وسيلة تجسيم وتشخيص وعامل تنبيه وتأثير، فضلا عن تبليغ الفكرة كاملة واضحة، من غير تكلف أو إسفاف كما هو ناموس البلاغة النبوية العالية، وهو ما تبرزه النماذج الآتية:

– حديث أبي هريرة–رضي الله عنه–عن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال:[**تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يُعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**][2]

في الحديث ثلاث استعارات إضافية، تضفي على الدينار والدرهم والخميصة ملامح السيادة، وههنا تشخيص خالص لعدم احتمال أن تكون السيادة لغير الإنسان، فهي صفة غضبية لا تكون لغير الإنسان، ويكون الطامع عبدا لهذه العناصر الرامزة إلى بهرجة الدنيا، عبدا ممتهن الكرامة، دنيء النفس، وفي فعل انتكس استعارة فعلية مجسمة للضلال الذي يجعله منكوسا على رأسه خلافا للنواميس، وهي حركة مفاجئة وعنيفة مثيرة للإشفاق.

هذه الاستعارة توضح السقوط الإنساني، وذلك إذا عدنا إلى المعنى الحسي لـ «عبد» من تعبيد الطرقات، فالعبودية هنا أقصى حالات المحبة والتعلق، حتى تصبح هذه المصنوعات هي التي تملي عليه سلوكه اليومي، وفي ذكر صناعتها تبيان لذلّ هذا المتعلق بالدنيا، ونمط التعبير يقدم ثلاثة أنساق تتضمن الاستعارة: عبد الدينار، عبد الدرهم، عبد الخميصة، والتحول من عبودية الدينار إلى عبودية الدرهم يبين هذا الدنيء الذي يسهل عليه أي انحطاط، ويتأرجح من غير خوف على

---

(1) ــ الاستعارة : هي استعمال لفظ في غير معناه الأصلي، لعلاقة التشابه بين المعنى الأصلي للكلمة، وبين المعنى المراد منها مع وجود دليل لفظي أو معنوي يمنع من إرادة المعنى الأصلي، وهي تشبيه حذف منه أحد طرفيه، وتسمى أيضا بالمجاز المقيد، وهي تعبر عن طاقة تخيلية هائلة .

(2) ــ البخاري: الصحيح :ك: الجهاد، ب: الحراسة في الغزو، ح (2730).

والخميصة: كساء أسود له خطوط، وانتكس: انقلب على رأسه، وشيك: أصابته شوكة، انتقش: أخرج الشوكة بالمنقاش.

إنسانيته بين درجات الدناءة، وينتهي الأمر بعبودية الثوب، وهو في الأصل ستر وترفع، ولكنه يرسم هنا تناقض هذا العبد الذي يحتوي تحضره على بهيمية وتسفّل وعودة إلى الوراء[1].

– عن عبد الله ابن عمر– رضي الله عنهما– قال : "قال رسول الله –ﷺ– : [**بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان**]"[2]

فجعل –ﷺ– للدين مثلا يشبهه به من الضرورات الحيوية العظمى التي لابد منها للإنسان، هذا المثل هو البيت، والذي يتكون من الجدران الأربعة والسقف، بها قوامه ووجوده، كذلك قوام الإسلام وثبات كيانه يقوم على هذه الأمور الخمس، التي ذكرها الحديث، وهي صورة استعارية، اعتمدت على تقريب المعنوي وتجسيمه بحسي، لصيق جدا بكل إنسان يتلقى هذا الحديث، وهو البيت الذي هو مأمن الإنسان، وموضع اطمئنانه وسعادته، لتضفي الصورة الرغبة في تحقيق هذه الأركان، رغبة النفس في تحقيق أمنها و اطمئنانها وسعادتها[3].

– عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال:" أتى النبي –ﷺ– على بعض نسائه ومعهن أم سليم، فقال: [**ويحك يا أنجشة رويدك سوقا بالقوارير**]، قال أبو قلابة: فتكلم النبي –ﷺ– بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه قوله :[**سوقك بالقوارير**]–شبههن بالقوارير بسرعة تأثرهن وعدم تجلدهن"[4].

3/– الصورة الكنائية[5]: الكناية الحديثية أداة تصويرية رائعة، وظفت في غايات دينية سامية، وحافظت على رونقها على مدى العصور، وقد اتسمت هذه الكناية بعموم التأثير وإن وجدت فيها ملامح بيئية، فهذا أدعى إلى شدة التأثير للصوق التعبير بالمشاهدة القريبة، وإتقان الإفادة من الوعاء المحيط بالأشخاص في التسجيل الفني.

كذلك تميزت الصورة الكنائية الحديثية بعدم الغموض ووضوح الصلة بين المظهر اللغوي

---

(1) _ ياسوف : الصورة الفنية في الحديث النبوي (193،194).

(2) _ البخاري: الصحيح، ك: الإيمان، ب: الإيمان وقول النبي...ح(8)، مسلم: الصحيح، ك: الإيمان ،ح(16).

(3) _ عتر : في ظلال الحديث النبوي (39،41).

(4) _ البخاري: الصحيح، ك: الأدب، ب: ما يجوز من الشعر، ح(5797)، مسلم: الصحيح، ك:الفضائل ،ح(2323)

(5) _ الكناية: لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادته معه، فظهر أنها تخالف المجاز من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمه، فإن المجاز ينافي ذلك.

والمدلول خلفه، لكن وضوحها لم يمنع من الإيماء اللطيف، ولم يقترب من المباشر في التعبير.

وقد جاءت رديفة لكنايات القرآن الكريم، تحتذي حذوها في التلطف والترفع عن الاسفاف والفحش وقبيح الألفاظ والتعابير، مع حضور الجمالية العالية[1].

وفي النماذج الآتية ما يوضح ذلك ويجليه:

– حديث عبد الله ابن عمر–رضي الله عنهما– عن النبي–ﷺ– قال:[**من حمل علينا السلاح فليس منا**][2].

جاءت عبارة (**حمل علينا السلاح**) كناية عن القتال والعصيان والتمرد والانشقاق عن الجماعة، فلم يُقصد حمل السلاح بل قُصدت نية القتال وفساد الطوية ثم إعلان العصيان مما يرافق عادة حمل السلاح. قال الحافظ:" كأنه كنى بالحمل عن المقاتلة أو القتل للملازمة الغالبة"[3].

ولا يمتنع أن يتحقق النص الظاهر على حرفيته مع إرادة المعنى الذي يقبع خلف اللفظ، فالجزئية الحسية وهي حمل السلاح قابلة للتحقيق، ورامزة إلى كلية هي العداء.

– عن عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها–:" أن بعض أزواج النبي قلن للنبي–ﷺ–: أينا أسرع بك لُحوقًا؟ قال: [**أطولكن يدا**]، فأخذوا قصبة يذرعونها، وكانت زينب أطولهن يدا، فعلمنا بعد أنما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعُنا لُحوقا به، وكانت تحبّ الصدقة "[4].

قال **ابن المنير** فيما نقله عنه الحافظ: "قولها (فعلمنا بعد) يشعر إشعارا قويا أنهن حملن طول اليد على ظاهره، ثم علمن بعد ذلك خلافه وأنه كناية عن كثرة الصدقة"[5].

قال **الشريف الرضي**:" جعلن يتذارعن، ينظرن أيهن أطول يدا، إلى أن توفيت زينب بنت جحش...وكانت أول من توفي منهن، وكانت كثيرة المعروف، فعلمن حينئذ أنه–عليه الصلاة والسلام– إنما أراد بطول اليد كثرة البر وبذل الوفر، وكنايته –عليه الصلاة والسلام– عن هذا المعنى بطول اليد مجاز واتساع، لأن الأغلب أن يكون ما يعطيه الإنسان غيره من الرفد والبرّ، أن يعطيه

---

[1] _ أحمد ياسوف : الصورة الفنية (285).

[2] _ البخاري: الصحيح، ك: الديات، ب: قول الله تعالى:﴿ ومن أحياها...﴾ ح (6480).
مسلم: الصحيح، ك:الإيمان ح(98)

[3] _ فتح الباري : (24/13)

[4] _ البخاري:الصحيح، ك:الزكاة، ب: أي الصدقة أفضل، ح(1354)، مسلم:الصحيح،ك: فضائل الصحابة،ح(2452)

[5] _ فتح الباري : (287/3).

ذلك بيده، فسمّى النيل باسم "اليد"، إذ كان في الأكثر إنما يكون مدفوعا بها، ومجتازا عليها"[1].

قال **أحمد ياسوف:**" في هذه الكناية يتجلى للبصر امتداد في الطول، ولكنه ليس امتدادا نحو الأعلى، بل تطول اليد تعبيرا عن كثرة الصدقة، وهكذا تصبح اليد الراكز الجمالي الحسي في مشهد الصورة الكنائية، ولكنها لا تظل يدا، بل تغدو فاعلية نفسية متجسمة في اليد، فيرتكز البصر عليها، كما تقترب الآلة المصورة من ركن لأهميته في التصوير، وكأنما طول هذا العضو جعل ملامسة الآخرين وتطييب خواطرهم هيناً سهل المنال، وجعل التلاحم بالآخرين ممكنا، وكأنما نمت هذه الفضلة مع المحرك الذهني وهو المكرمة، كما تنمو العضلة في التدريب الجسماني، فمتابعة حيثيات هذه الصورة تتوزع بين الخيال والحس، وبين الذهن والتخيل حيث الملامح الروحية ... ونضيف هنا أن انبساط اليد تعبير حسي عن السخاء، إذ لا ينكمش المرء على نفسه، ويخشى على ماله، وكأنه يخشى على جسده، كما في الآية الكريمة عن التوسط في الإنفاق: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾ [الإسراء" 29] "[2].

القسم الثاني : الوسائل الجمالية للصورة الفنية ومظاهرها وخصائصها والموسيقى النثرية في الحديث النبوي

ج/– الوسائل الجمالية – الأخرى– للصورة الفنية في الحديث النبوي :

إضافة إلى ما ذكر من وسائل بلاغية هناك وسائل أخرى كثيرة أسهمت في جمالية الصورة الفنية في الحديث النبوي، يمكن أن نحصرها في ثلاثة عناصر هي:

1/– عناصر الطبيعة والبيئة:

أسهمت عناصر الطبيعة متمثلة في الأحياء والجمادات والنبات وكذلك البيئة بمختلف مشاهداتها بشكل واضح في جمالية التصوير الفني في أحاديث النبي–ﷺ –.

– أما عنصر **الأحياء**، خاصة منه الحيوان، فقد جاءت صوره متنوعة بين كبير وصغير، أليف ومتوحش، وهي تمتلك قدرة رمزية مستمرة حيث استعمل في التصوير النبوي الحيوان الذي تتكرر رؤيته لدى معاصري النص النبوي، في الوقت الذي لا ينافي ما نعهده اليوم من صفات هذا

---

[1] _ المجازات النبوية : (79).

[2] _ الصورة الفنية: (256–257).

الحيوان أو ذاك، فالخيل ترمز إلى الآن إلى قدرة الأمة وحيويتها.

هذا وقد جاء التصوير بالإبل، والخيل، والبقر، والشاة والبهيمة، والطير في أحاديث كثيرة منها:

– حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– أن النبي–ﷺ– قال:[**إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، ومثل المهجِّر كمثل الذي يُهدي بدنة، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كبشا، ثم دجاجة، ثم بيضة...**][1].

– حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–عن النبي–ﷺ–:[**يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير**][2]. في رقتها ولينها كما في خبر أهل اليمن [**أرقّ أفئدة**] أي أنها لا تحمل أشغال الدنيا، فلا يسعها الشيء وضده كالدنيا والآخرة، أو في التوكل كقلوب الطير تغدو خماصا وتروح بطانا، وفي الهيبة والرهبة لأن الطير أفزع وأشد الحيوان خوفا لا يطيق حبسا، هكذا أفئدة هؤلاء مما حل بها من هيبة الحق وخوف جلال الله وسلطانه لا يطيق حبس شيء يبدو من آثار القدرة ألا ترى أن المصطفى –ﷺ–كان إذا رأى شيئا من آثارها كغمام فزع فإذا أمطرت سرى عنه [3].

قال **أحمد ياسوف:**" الحديث لم يذكر وجه الشبه، فلم يحصره في جانب واحد، وهكذا تتعدد الإيحاءات... وثمة شيء آخر هو ضآلة هذه القلوب عند الطيور مما يفيد تواضع العبد المؤمن أمام خالقه، فهي ضعيفة تكاد لا تُرى، لكونها صورة بعيدة، كما أن هذه الصورة داخلية تدعو إلى التأمل في باطن الطيور، لفهم رهافة الشعور العالية عند المؤمنين الخاشعين، مما جعلهم يُطلقون بحرية في جنان النعيم، في حركة آخذة في الامتداد في الفضاء الواسع الذي يثير هنا مشاعر الراحة والانبساط، خصوصا أن إطار هذا المشهد غير محدود لكونه مفهوما غيبيا" [4].

– حديث أبي هريرة–رضي الله عنه–عن النبي–ﷺ–:[**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل يحسون فيها من جدعاء**][5].

ولم يقصد الحيوان في الحديث النبوي لذاته في التأثير الوجداني الفني، فليس ثمة مدح للناقة

---

[1] _ البخاري: الصحيح، ك:الجمعة، ب: فضل الجمعة، ح(841)، مسلم: الصحيح، ك: الجمعة، ح(850)

[2] _ مسلم : الصحيح: ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها ح(2840).

[3] _ المناوي: فيض القدير (460/6).

[4] _ الصورة الفنية : (326).

[5] _ البخاري: الصحيح: ك: الجنائز، ب: إذا سلم الصبي (1292). مسلم: الصحيح، ك: القدر (2658).

مثلا كما في الشعر، بل استعين به في إبراز جمال التصوير، وانتزعت من الحيوان الصفات المناسبة لماهية الفكرة المجسمة لغرض التنفير بالتقبيح و الترهيب، أو الترغيب بالتحسين والتحفيز أو لتقرير حقائق؛ مثل حديث البهية، ويبقى الجمال في هذا كله قرين التشكيل الفني الذي مزج بين عالمي التجربة والحيوان.

هذا وإن عدم تلاحم طرفي الصورة واضح في استخدام الحيوان، إذ جاءت بوسيلة بلاغية واحدة هي التشبيه، وثمة سببان لهذا : السبب الأول ديني هو عدم الخلط بين ماهيتي الإنسان والحيوان، والاكتفاء بأوجه تقارب من خلال جزئيات بارزة، فيكرّم الإنسان، ويبتعد عن الخلط، والسبب الثاني فني، إذ تطلب الفكرة هذا القدر من المشابهة أو ذاك ، فجاءت صور الحيوان كلها في حالة تشبيه واضح الأركان، لتكون الأداة فاصلة بين عالمين تمنعهما من الامتزاج[1].

– أما عنصر **النبات** فقد استخدم في الحديث النبوي لتصوير التحسين والتقبيح أيضا، فقدم الحديث من خلال النبات لوحات فنية رائعة مضيفا إلى حسيتها حالة نفسية من خلال الإيحاء الذي تقدمه ماهيات هذا النبات، ومن خلال تصورنا لها، رامزة للإنسان الخير والشرير، متجاوزة بظلالها حيز المكان. و اختار من النباتات ما كان مشهورا معروف الصفات والدلائل مما جعل قيمتها التعبيرية في التصوير كبيرة جدا، ومن النباتات الواردة في صور الحديث النبوي:

النخلة ولم ترد إلا في مقام المدح والفضائل والترغيب، ولم تقرن بالكافر أو المنافق، ومن هذا القبيل ما رواه عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– عن النبي–ﷺ– قال: "[**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي؟**] . فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله : ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال [**هي النخلة**]"[2]، وفي رواية :"[**مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء لا يسقط ورقها، ولا يتحات**]"[3].

يبين الحديث صفات المسلم في نفسه ووضعه بين العالم، فالمسلم بحكم إيمانه وأهدافه في الحياة يتحول إلى إشعاع نوراني يضيء للناس سبل الخير، ويكون هو نفسه مصدر خير عام في كل أحواله وشؤونه، خيرية ثابتة دائمة لا تغيرها ولا تحول دونها الظروف، وقد أبرز الحديث هذا المعنى

---

[1] _ أحمد ياسوف :الصورة الفنية (326، 327).

[2] _ البخاري: الصحيح: ك: العلم، ب: قول المحدث حدثنا...ح(61)،مسلم: الصحيح، ك: صفات المنافقين (2811)

[3] _ البخاري: الصحيح: ك: الأدب، ب: ما لا يستحيي من الحق (5771).

في تشبيه رائع أبرز من خلاله أن المسلم نخلة للعالم بعطائه ونفعه، وديمومة خيريته كما هو شأن النخلة في حياة البدوي؛ تمرها غداؤه، وسعفها سقف بيته، وجذوعها أعمدة بيته، ونوى تمرها علف دابته، وليفها تصنع منه الحبال، و هي إضافة إلى ذلك دائمة الخضرة لا يتساقط ورقها ولا يتآكل، بتعاقب الفصول والأيام، فضلا عن جمال شكلها ولونها المريح للبصر والبصيرة، في إشارة إلى ثبات الخيرية في المؤمن لطول ثبات هذه الشجرة كما هو معهود، وإلى طلته البهية، وبهاء الإيمان في وجهه، وشموخه لاقترانه بشجرة عالية، ولعلاقة النخلة بالمؤمن إيحاءات متعددة، تبين جمالية مقارنة المؤمن بها واستحقاقه التام التشبيه بها و صارت النخلة بجزئياتها المشوقة قبل معرفتها تنسكب على المؤمن وتجسد خصاله الكريمة[1].

الشعير، التمر، العنب، الزرع عموما، **الأترجة، الحنظلة، الريحانة** ...الخ[2].

– وأما عنصر **الجماد** فإن صوره داخل الأطر الفنية الحديثية ذات مكان واسع وفضاء شاسع، فهي تصعد بنا إلى النجوم والكواكب، وتلجأ إلى البحر والنهر[3] والمطر والغيث، والجبال وغيرها دون أن تبقي على حسية هذه الموجودات بل تقلبها إلى رموز دينية.

– فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –ﷺ–:[**من تصدّق بعدل تمرة من كسب طيِّب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بمينه، ثم يربيها لصاحبه، كما يربي أحدكم فَلُوَّه، حتى تكون مثل الجبل**][4].

قال **ابن المنير** فيما نقله عنه الحافظ: "الكناية عن الرضا والقبول بالتلقي باليمين لتثبيت المعاني المعقولة من الأذهان وتحقيقها في النفوس تحقيق المحسوسات، أي لا يتشكك في القبول كما لا يتشكك من عاين التلقي للشيء بيمينه"[5].

و أما الجبل فيمثل هنا الأمان العميم بثباته معبرا عن نمو الصدقة، وأُشبعت هذه الفكرة بتعبير [**لصاحبه**] زيادة في الطمأنينة، وكأنما جرت صحبة بين هذا المؤمن والصدقة لكثرة خيريته.

---

[1] ـ ينظر: عتر: في ظلال الحديث (74)، الشريف الرضي: من بلاغ الحديث (70).

[2] ـ ينظر: حديث: [**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن** ...].

[3] ـ النهر: مثل ح:[أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيه ...]، اليم: مثل ح:[ما الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحدكم...]

[4] ـ البخاري: الصحيح: ك: الزكاة، ب: لا يقبل الله صدقة ...ح(1344)،مسلم: الصحيح، ك: الزكاة، ح (1014).

[5] ـ فتح الباري :(280/3).

والصدقة هنا آخذة في النمو المتصاعد أمام البصر، وتغدو في شكل حيوان أليف نام، له ما لَهُ من إثارة المشاعر الطيبة لهذا الحيوان الودود، فهو ولد الفرس حين يعظم أو حين يبلغ السنة من عمره، وهو بحاجة إلى رعاية وشفقة مما يجسم الرعاية الربانية للعبادات صغيرها وكبيرها، ومن ثم تأخذ في الكبر، حتى تصبح جبلا، فيكتمل الشعور بالنمو الذي يثبت عند حدّ الراحة لدى الاستحواذ على الكثير من العطاء الرباني غير المحدود.

وفي الحديث إشارة رفَعت الموجودات، ووهبتها قيمة جليلة، فالله سبحانه وتعالى يربيها مباشرة، وهذه لفتة مهمة إذ تلبس الموجودات من هيبة من يرعاها، وقد اشتمل الحديث على رموز للموجودات: نبات، حيوان، جماد، كما أنه رقى الإنسان حتى جعله بعمل بسيط – صدقة بعدل تمرة – يضع يده في يمين الله تعالى، ويستودع عنده وديعة[1]. وهو تصوير في غاية الجمال والإبداع والدقة أين اختيرت المعاني والألفاظ والأسلوب بعناية فائقة، كل ذلك بغرض التأثير في المتلقي وحضه على التصدق من طيب كسبه وإن كان قليلا، فإنه بين يدي الله سيكبر ويعظم حتى يصير مثل الجبل في عظمته وكبره.

– وأما **البيئة** فقد استفاد الحديث النبوي من مشاهدات البيئة والعادات الاجتماعية في تصوير المعاني وسخرها لتعميق التصوير الفني، بما تتمتع به هذه المشاهدات من حرارة المعايشة لدى المتلقين، ومن المظاهر البيئية التي استعملت في الحديث النبوي :

حياة الرعي كما في حديث عبد الله بن عمر ﷺ:[**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته**][2].

برز أثر الرعي في أكثر من حديث، فقدّم –عليه الصلاة والسلام– خبرته التي عاينها بالتجربة الحسية بحكم ممارسته لمهنة الرعي في باكورة عمره الشريف، وأوصلها للمؤمنين ليتخلقوا بأخلاق الراعي من أناة وحلم وصبر وتدبير للأمور كما تخلق هو قبلهم .

ونظرا لشدة لصوق الرعي بالحياة العربية وغيرها أيضا، أضحت مادة (ر ع ي) تُستعمل في معنى مطلق وفق التطور الدلالي، ففي الاعتناء قيل: رعاك الله، وفي المسؤولية كما في الحديث

---

[1] _ ينظر: ياسوف : الصورة الفنية (351).

[2] _ البخاري: الصحيح: ك: الجمعة، ب: الجمعة في القرى ...ح(853)، مسلم: الصحيح: ك : الإمارة، ح (1829).

السابق: [**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...**].

ويتخذ الرعي في الصورة الحديثية عنصرا فعالا في توصيل المعنى المراد، إذ انطلق من مشاهد بسيطة متكررة ومألوفة لديهم، فأثر فيهم لخبرتهم الحسية بالمشبه به، فكان الحديث دعوة صريحة و" دعامة كبيرة في القيام بالواجبات والحقوق، والإحسان في الأعمال والرعاية لما تحت اليد، وإنه ليقرر مسؤولية كل فرد فيما وكل إليه من نفوس وأموال ومصالح وأعمال"[1]. ابتداء من الإمام الذي يمثل سدة الحكم وإليه تنتهي شؤون الأمة، وانتهاء بالخادم، وما من إنسان إلا وقد وكل إليه أمر يدبره ويرعاه.

وفي حديث آخر تتجلى حركة الرعي تجسيما في تمييز الحلال من الحرام في التصرفات و السلوك اليومي، كما روى النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول :[**الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مُشَبَّهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات: كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمُه، ألا وإن في الجسد مُضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**][2].

وقد جسم الراعي في هذا النص الخواطر القلبية في التردد بين الإقدام والإحجام في سلوك ما، وموقف ما من مواقف الحياة، والصورة تتبدى حركة دائرية متكررة ، وكأن الإنسان يحوم حول دائرة الحرام يسير على محيطها، وهي دائرة منخفضة عن مستوى غيرها من الأرض.

والتعبير بقوله:[**وقع في الشبهات**] يوحي بأن الخطأ هبوط يرمز إلى سفلية الشيطان، والطبع الحيواني من الإنسان، والتعبير بقوله:[**كراع يرعى**] يقدم استحضارا للمشهد بوصفه يقترن بزمن المضارعة، ولاشك أن فساد القلب يُودي بالمؤمن، ويوقعه في المحارم، كما تزلُّ قدما هذا الراعي، فيقتحم حمى الملك، ويستجلب غضبه، فلابد أن يحتاط لنفسه، ويتورع، وذلك من باب سدّ الذرائع[3].

حياة الحروب وقد تأتي صريحة أو بالإشارة إلى أدواتها كالسهم، الرمح...

---

[1] _ محمد الخولي: الأدب النبوي (46).

[2] _ البخاري: الصحيح: ك: الإيمان، ب: فضل من استبرأ... ح (52)، ومسلم: الصحيح: ك: المساقاة، ح (1299).

[3] _ أحمد ياسوف: الصورة الفنية (363).

فقرن الحديث النبوي بين الدعوة إلى الله والنذير الذي ينذر بقدوم فرسان قبائل أخرى، كما روى أبو موسى الأشعري –رضي الله عنه– عن النبي–ﷺ– أنه قال :[**إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قوما، فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العُريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني، وكذب بما جئت به من الحق**][1].

هكذا سرد حالة اجتماعية هي حالة الغزو واقتبسها للعذاب الأخروي، فالنذير هو النبي –ﷺ–، والذين قبلوا هدى الله هم المدلجون الذين صدّقوا النذير فأدلجوا، أما العصاة الكفرة فهم الذين كذبوا خبر النذير، والخبر الذي ينقله هو الغيب الذي يأتي به الأنبياء، والجنة هي الخلاص، والنار هي اجتياح الجيش الغازي، وقد وردت في النص مفردات من حقل معنوي واحد يجسم حالة الحرب القديمة مثل: النذير، الجيش، أدلجوا، فصبّحهم، اجتاحهم، كل هذا في قالب قصصي مشوق جسم الدعوة والتفاعل معها في حسيات واقعية معيشة[2].

ظاهرة السفر، كما في حديث عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– : "نام رسول الله –ﷺ– على حصير، وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء، فقال: [**مالي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها**][3].

وقد تبدَّت في النص حياة السفر والراحة لدى محطات معينة، ليلتقط المرء أنفاسه، ويقي نفسه الحرّ في تلك الأراضي الفسيحة، والمقصود في النص شبه الدنيا بالفيء البسيط الذي ينعم به المسافر، ثم يتابع مسيرته الشاقة، فهي سريعة الزوال يتضاءل زمنها إلى هنيهات، وهذه الصورة الزمنية تلَوِّح بالحسرة وفوات الزمن كما تنبيء بهذا الأفعال الماضية « استظل، راح، تركها» الدالة على سرعة المرور وسيلان الزمن.

وقد جاء التعبير بإحكام التأكيد[**ما أنا إلا كراكب**] ويمثل طول السفر بالنسبة إلى هنيهة

---

[1] _ البخاري: الصحيح: ك: الاعتصام، ب: الاقتداء ...ح (6854)، ومسلم: الصحيح: ك: الفضائل، ح (2283).

[2] _ ينظر : عبد الفتاح لاشين :من بلاغة الحديث (34،35)، بو منجل: بلاغة الإقناع في الحديث (182،183).

[3] _ الترمذي: الجامع: ك: الزهد، ب: ـــــ ح (2377)، وابن ماجه: السنن: ك: الزهد، ب: مثل الدنيا، ح (4109)، وقال الترمذي : "هذا حديث حسن صحيح".

الاستراحة وسرعة فوات الدنيا[1].

إضافة إلى مظاهر أخرى للبيئة ك**الثياب** (وتستعمل عادة للدلالة على الدين، أو القرب)، العصا (من دلالاتها وحدة الصف)، شراك النعل-حديث [**الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك**] [2].

2/- الصورة الحقيقية :

إن من الصور الأدبية الفنية ما يستمد من الحقيقة مباشرة، فيتجاوز في جمال التصوير وروعته الحدود المعهودة، وقد وردت الصور الحقيقية في الحديث النبوي في القصص وتستثني القصص التمثيلية (التي تعتمد على التمثيل كأن يشبه شيء بقصة)، وترد أيضا في ذكر أحوال الناس المؤمنين ونعيمهم في الجنة والكافرين وأهوالهم في النار.

فمن القصص النبوية التي تسرد من التاريخ القديم حديث خباب بن الأرت -رضي الله عنه- قال:" شكونا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال:[**كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصدّه ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**]"[3].

وهي مشاهد مؤثرة رغم أنها مشاهد حقيقية خالية من المجاز والتشبيهات وأنواع البيان، فهناك صورة المستضعف داخل الحفرة ينتظر العقاب والتعذيب، والحفرة مكان مسدود يخنق الأنفاس ويزيد في الهلع، ثم نرى صورة الجسد وهو يشق بالمنشار من الرأس حتى يكون قطعتين، ومن المروع الغريب عن المعهود التمشيط بأمشاط الحديد، إنه تمزيق غريب يثير الخوف والشفقة على المستضعف المؤمن، وينتهي النص بزرع إشعاع الأمل في نفوس الصحابة، وهو أحد النبوءات الصادقة[4].

---

[1] _ ينظر : أحمد ياسوف: الصورة الفنية (373).

[2] _ البخاري : الصحيح :ك: الرقائق، ب: الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، ح(6123).

[3] _ البخاري : الصحيح: ك: المناقب، ب: علامات النبوة، ح(3416).

[4] _ ينظر : أحمد ياسوف: الصورة الفنية (382، 383).

3/– الصورة الإشارية:

لم يكتف النبي –ﷺ– بالوسائل الفنية التي يدركونها لعلو مقامهم في البيان، وتذوقهم الرفيع له، بل راح يشير بيده الشريفة، وكأنه يرسم المعنى بها بعد أن توضح بالتصوير، والأحاديث المتضمنة لهذه الصورة كثيرة جدا منها:

– حديث سهل بن سعد –رضي الله عنه– "عن النبي –ﷺ– قال:[**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**] وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا"[1].

– من حديث سهل بن سعد –رضي الله عنه– عن النبي –ﷺ– قال :" [**بعثت أنا والساعة كهذه من هذه أو كهاتين**] وقرن بين السبابة والوسطى"[2]، وفي رواية :"يشير بأصبعيه فيمدهما"[3].

كما استعان بالرسم على الرّمال، وغير ذلك.

د/– مظاهر الصورة الفنية في الحديث النبوي :

1/– الصورة التجسيمية: التجسيم في مضمار الأدب إعطاء الفكرة جسما، لغرضي التوضيح والتأثير.

والتجسيم في الصورة الحديثة قائم على اللغة المجازية، ومستعين بصور الطبيعة الجامدة والمتحركة، فنراه يجسم بالتشبيه والاستعارة، والكناية ليحقق الحديث إقناع العقل وإمتاع النفس، ومن ثم تظل القيمة الجمالية ماثلة في الأذهان، حاضرة أمام الأعين بعناصرها الحسية.

– منه ما رواه عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– قال: "خط رسول الله –ﷺ– خطا مربعا، وخط خطا في الوسط خارجا منه، وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال:[**هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به، أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا، نهشه هذا**]" [4].

وكثير مما سقناه من الأمثلة سابقا يصدق عليه هذا.

2/– الصورة التشخيصية: التشخيص إبراز الجماد أو المجرد من الحياة من خلال الصورة

---

[1] _ البخاري: الصحيح: ك: الطلاق، ب: اللعان، ح (4998).

[2] _ البخاري: الصحيح: ك: الطلاق، ب: اللعان، ح (4995).

[3] _ البخاري: الصحيح: ك: الرقاق، ب: قول النبي –ﷺ –... ح (6138).

[4] _ البخاري: الصحيح :ك: الرقاق، ب: الأمل وطوله، ح(6054).

بشكل كائن حي، متميز بالشعور والحركة والحياة وهو قليل الورود في أحاديث النبي -ﷺ - ومن أمثلته:

– حديث النواس بن سمعان -رضي الله عنهما- "عن النبي-ﷺ - قال:[**يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهلِه الذين كانوا يعملون به، تقْدُمه سورة البقرة وآل عمران**]، وضرب لهما رسول الله -ﷺ - ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال: [**كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف تُحاجّان عن صاحبها**]"[1].

جاء الترغيب في قراءة القرآن والعمل بما فيه في صورة مشهد أخاذ لوفد يتقدمه سيدان، وسيد القوم تشخيص لسورتي البقر وآل عمران، تأتيان لتشفعا لقراء القرآن المتدبرين العاملين به.

ثم يتوالى في النص تشبيهان للسورتين، فتغدوان غمامتين بلون أسود والسواد محبب هنا مادام يفيد الظل ووضوح الرؤية، ويفرق بينهما ضياء الشمس، وما أحوج الناس هناك إلى ظلة أو غمامة، ثم هما صفّان من الطير، ثم تتملكان الدفاع عن قارئهما، وهنا تبرز الصبغة البشرية لاختصاص الدفاع الكلامي بالإنسان، وهذا الحديث يحتاج إلى طاقة كبيرة من التصور[2].

– وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- المال يغدو ثعبانا فكأن هذا حالة تجسيم فني، ولكنه يتكلم مع البخيل مما يحيل الكلام إلى ما يشبه التشخيص، حيث يروى عنه- ﷺ- أنه قال:**[من آتاه الله مالا، فلم يؤد زكاته، مثِّل له يوم القيامة شجاعا أقرع له نابان، يطوّقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلِهزميه، يعني بشدقيه، ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾** [أل عمران:180)]] [3].

هـ/– خصائص الصورة الحديثية:

اتسمت الصورة الحديثية بالخصائص[4] الآتية:

1– الوضوح : فقد ابتعدت عن الإلغاز والغموض، وحققت الوضوح والتأثير، فاستعانت بالطبيعة وغيرها من الوسائل الموضحة لمواءمة المنطق والوجدان.

---

[1] _ مسلم : الصحيح :ك: صلاة المسافرين، ح(805).

[2] _ ينظر : أحمد ياسوف: الصورة الفنية (474)، رحمة الله الطيب: الصورة البيانية في الحديث النبوي (64، 65).

[3] _ البخاري : الصحيح :ك: الزكاة، ب : إثم مانع الزكاة، ح(1338).

[4] _ ينظر : أحمد ياسوف: الصورة الفنية (786، 788).

2- الجدة والاستمرار: إذ لم تكن الصورة الحديثية تعتمد على صور أدبية سابقة فهي تخلو من التناص الصوري إن صح التعبير، فقد أثارت المشاعر بجدتها، وهذه الجدة مستمرة بفضل الرعاية الربانية، ثم بما فيها من عناصر القوة الفنية.

3- اعتماد الحقيقة : فلم تقتصر الصورة الحديثية على المجاز والتشبيه، فقد أثارت الخيال بالعبارات الحقيقية المصورة للمشاهد على خلوها من اللغة الخيالية الانزياحية، وذلك لخصوصية الموضوعات الدينية.

4- الصدق : ونعني به الصدق الخلقي والصدق الفني المقنع، وذلك أن الصورة الحديثية تنتفي من الافتعال، لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان خير منفذ للأوامر والنواهي الواردة في الحديث النبوي، إذا ارتبط التصوير بالدعوة ارتباطا وثيقا، كما كانت الخيالات المثارة لا تعني الوهم مما يحقق الصدق الفني أيضا.

والمعروف في النقد أن صدق المبدع يبرز في زيادة إحساسه الفني، وهذا يعني زيادة في تأثر المتلقي، فالصدق عمل القلب والفن عمل العقل، وهما في حال تلازم في أدب الصادق الأمين -عليه الصلاة والسلام- مما زاد في جمال الصورة في أدبه وفاعليتها.

5- الفصاحة وقوة الإيحاء : امتازت الصورة الحديثية بفصاحة اللغة التي تحمل الصورة الفنية فكانت محوطة بجسد لغوي يزيد في فاعليتها، ويتمم عناصر التصوير، فثمة قوة في التصوير وفي التركيب، وهذا ما جعل النص بين الوضوح والإيحاء.

6- القدرة على التأثير : لم تنقطع العلاقة بين الصورة ووظيفتها الدينية، فقد أسهمت الصورة في الإبلاغ العام في الحديث النبوي، بل كانت عنصرا فعالا في تغيير النفوس وتبديلها إلى الأجمل.

رابعا : الموسيقى النثرية في الحديث النبوي.

يمتاز البيان النبوي الشريف في كل حديث منه، بل كل مطلع منه وختام بأسلوب إيقاعي فني، ذاك لأن العربية بطبيعتها لغة موسيقية، والحديث النبوي يسير على سنن العربية، وأساليبها في التعبير، فتميز أسلوبه بالإيقاع الصوتي المعبر، والجرس اللافت المؤثر[1].

---

[1] _ ينظر : مدحت حسيني : البلاغة الصوتية في الأحاديث النبوية (1726)

ولم يكن هذا التأثير الصوتي للبيان النبوي إلا لخصوصية بنائه الصوتي سواء من ناحية الألفاظ أو الجمل، أو الحديث بأسره ومدى انسجامها مع المعاني التي يحملها. "إذن فموسيقى الحديث النبوي تنطلق من :

1/ حروف الكلمة الواحدة، التي تكوّن الموسيقى الداخلية للكلمة.

2/ ومن الكلمات مجتمعة في جملة تكون الموسيقى الداخلية للجملة.

3/ ومن الجمل للحديث، التي تكون موسيقى الكلام"[1].

أما في اللفظة الواحدة فإن أصوات الحروف متفاوتة في الجرس، فإذا انتقيت الكلمات، ورتبت الحروف بحسب أصواتها ومخارجها، وما بينها من تناسب في الجهر والهمس والشدة والرخاوة نتج عن تقارعها المتناغم حين تجتمع في اللفظ لغة موسيقية جميلة.

وكذلك الأمر بالنسبة للكلمات إذا تآلفت وانسجمت في جمل، وهذه الأخيرة في فقرات، فإنه ينتج عن تقارعها لغة موسيقية رائعة، تنساب من خلالها الحروف والكلمات والجمل، بل الكلام كله على اللسان انسيابا، فيأنس له السمع، وتهتز له المشاعر، وتذعن له النفوس وهو المبتغى والمقصد .

أمثلة ذلك :

– عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– :[**حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**][2].

فكل كلمة من كلماته مسجمة الأصوات، سهلة النطق، مأنوسة الوقع على السمع[3].

– عن البراء بن عازب–رضي الله عنه– قال : قال رسول الله –ﷺ–: [**يا فلان إذا أويت إلى فراشك فقل : اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإنك إن مت في ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبت أجرا**] [4].

---

[1] _ الصباغ : الحديث النبوي (90،91)

[2] _ مسلم : الصحيح :ك: الجنة وصفة نعيمها، ح (7308) (8 / 142).

[3] _ الصباغ : الحديث النبوي (92)

[4] _ البخاري : الصحيح : ك : التوحيد، ب: قول الله تعالى:﴿ أنزله بعلمه...﴾ ح(7050)
مسلم : الصحيح :ك: الذكر والدعاء والتوبة، ح (7060) (8 / 77).

ففي الحديث كرر حرف " التاء" اثنتي عشرة مرة وهو صوت مهموس يتناسب وجو النوم الهادئ حيث الطمأنينة والسكينة أين يتوجه العبد إلى الله –عز وجل– ويسلم نفسه إليه، وهذا سر تكرار لفظة "إليك" التي كانت بمثابة قفل أو فاصلة تنهب مقطع الحديث، والملاحظ هنا أن تكرار هذه اللفظة لم يشن الكلام، بل زانه وأكسبه جمالا وإيقاعا موسيقيا[1].

إضافة إلى الموسيقى الداخلية للألفاظ والجمل فإنه مما يزيد الكلام عذوبة واللحن جمالا :

أ – الموازنة والتقابل، كما في قوله –ﷺ–: [**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**][2].

فالمقابلة بين طرفي الكلام جلية في هذا الحديث، ففي الطرف الأول بسط اليد في الليل ليتوب مسيء النهار، و في الطرف الثاني بسط اليد في النهار ليتوب مسيء الليل.

– وقوله–ﷺ– : [**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**][3].

الجملتان الأخيرتان مثل واضح على الموازنة الدقيقة والمقابلة التامة، هذا فضلا عن أن الجملة الثانية لا تزيد حرفا من ناحية العدد عن الجملة الأولى، حيث استبدلت كلمتي " ضراء" و "صبر" بكلمتي "سراء" و "شكر".

ب– السجع، وله دور في إعطاء الكلام لونا من الموسيقى، كما في قوله –ﷺ– : [**أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلون الجنة بسلام**] [4] .

– وقوله –ﷺ– : [**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا**] [5].

انطلاقا مما سبق عرضه في مجال الإعجاز الفني في السنة النبوية نخلص إلى أن البيان النبوي في

---

[1] _ عزيز العمراني الإدريسي : المستوى الإيقاعي في الحديث النبوي الشريف https://diae.net/55149/

[2] _ مسلم : الصحيح :ك: التوبة، ح (7165) (8 / 99).

[3] _ مسلم : الصحيح :ك: الزهد والرقائق، ح (7692) (8 / 227).

[4] _ الترمذي : الجامع : أبواب : صفة القيامة..، ب:– ح(2485)
قال الترمذي :" هذا حديث صحيح".

[5] _ البخاري : الصحيح : ك : الزكاة، ب: قول الله تعالى:﴿ فأما من أعطى...﴾ ح(1374)
مسلم : الصحيح :ك: الزكاة ، ح (2383) .

تناسب مفرداته وعباراته، وروعة أسلوبه، وجمال صوره، وعذوبة موسيقاه هو أرقى نص أدبي بعد القرآن الكريم.

المحاضرة الرابعة :

الوجه الثالث: الإعجاز التشريعي في السنة النبوية

أولا : مفهوم الإعجاز التشريعي.

الإعجاز التشريعي مركب إضافي، طرفاه كلمتا (الإعجاز) و(التشريعي)، ومفهومه متوقف على معنى كل منهما.

-أما لفظة الإعجاز فسبق بيان معناها.

مفهوم لفظة "التشريعي" لغة واصطلاحا:

لفظة "التشريعي" في اللغة: اسم نسبة "للتشريع" والتشريع مأخوذ من مادة (شرع).

قال **ابن فارس**:" الشين والراء والعين أصل واحد، وهو شيء يفتح في امتداد يكون فيه من ذلك الشريعة وهي مورد الشاربة الماء، واشتق من ذلك الشرعة في الدين، والشريعة .

قال تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ [المائدة:48]، وقال سبحانه:﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها**﴾ [الجاثية : 18]"[1].

فالشريعة هي: المواضع التي ينحدر إلى الماء منها، والشرعة والشريعة في كلام العرب: مشرعة الماء، وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون ويستقون، والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عدا لا انقطاع له، ويكون ظاهرا جاريا معينا لا يستقى منه بالرِّشاء[2].

والتشريع: إيراد الإبل شريعة لا يحتاج مع ظهور رمائها إلى نزع بالعلق من البئر ولا سقي في الحوض، وفي المثل: (أهون السقي التشريع)[3].

قال **الأصفهاني** :"الشرع نهج الطريق الواضح، يقال: شرعت له طريقا، والشرع مصدر، ثم جعل اسما للطريق النهج، فيقال له: يشرع، شرع وشريعة، واستعير ذلك للطريقة الإلهية ... قال بعضهم: سميت الشريعة شريعة تشبيها لشريعة الماء من حيث إن من يشرع فيها على الحقيقة المصدوقة روى وتطهر"[4].

---

[1] _ معجم مقاييس اللغة، (262/3).

[2] _ ابن منظور: لسان العرب، 344/21.

[3] _ الفيروزآبادي : القاموس المحيط (946/1)، ابن منظور: لسان العرب(344/21).

[4] _ المفردات: (258/1).

وقال **القرطبي**: "شرع نهج وأوضح وبين المسالك، وقد شرع لهم شرعا، أي: سن"[1].

يظهر مما سبق أن (شرع) في أصل الوضع يفيد معنى ابتداء شيء مع امتداد يكون فيه، شريعة الماء عند العرب ما كان ماؤها عدا لا انقطاع له، ويكون ظاهرا جاريا، والشرع مصدر ثم جعل للطريق النهج المستقيم ومعنى شرع: سن ونهج وأوضح وبين المسالك[2].

لفظة "التشريع" في الاصطلاح: يقابل مصطلح "التشريع" عند الفقهاء مصطلح الشرع والشريعة، والشريعة في الاصطلاح: ما شرع الله تعالى لعباده من الدين.

قال الجرجاني: "الشريعة هي الطريق في الدين"[3].

ويمكن أن يقال:" **هي كل ما سنه الله لعباده من أحكام ونظم و أوامر ونواهي تعبدهم بها"**

ووجه المناسبة بين المعنى اللغوي والإطلاق الاصطلاحي أن الشرع هو الطريق الواضح، والأحكام التي سنها الله لعباده وافترضها عليهم نهج ظاهر وطريق مستقيم، فهي على أتم ظهور وأكمل وضوح لمن أراد معرفة الحق، ليس فيها غموض أو لبس، وهي أيضا معين عذب دائم إلى يوم القيامة، ينهل منه الإنسان ما يطهره من الذنوب والمعاصي، ويحقق له السعادة في الدنيا والآخرة[4].

أما عن مفهوم " **الإعجاز التشريعي**" فقال **الأسطل**: "عجز المتفوقين في التشريع والتقنين عن أن يأتوا بأحكام من مثل التشريعات الإسلامية، أو أن يدركوا معظم ما فيها من كنوز المقاصد والعلل، أو بالإشارات والحكم المتعلقة بالأحكام التكليفية في جوانب الحياة المختلفة"[5].

فسمو التشريعات الإسلامية–ما ثبت منها بالقرآن أو السنة– وشمولها وكمالها في إصلاح حياة البشر ومراعاة حاجياتهم الزمانية والمكانية، قصرت عن محاكاته كل القوانين البشرية والدساتير الوضعية منذ نزول القرآن الكريم وإلى يومنا هذا، حيث عجز الخلق عن الإتيان بمثلها أو بمثل بعضها، وسيبقى هذا العجز والقصور إلى قيام الساعة، قال محمد أبو زهرة: "إن الناس مهما تفتق

---

[1] _ الجامع لأحكام القرآن:(16/8).

[2] _ عبد الله الزيوت: نشأة الإعجاز التشريعي(12).

[3] _ التعريفات، 167/1.

[4] _ عبد الله الزيوت: نشأة الإعجاز التشريعي (12)

[5] _ يونس بن محي الدين الأسطل: الإعجاز التشريعي مفهوما ومزايا.مقال منشور على موقعه:
http://www.yalastal.com/article-detail/386

عقولهم عن شرائع قد وصلوا إليها بتجارب قضائية، وتجارب علمية، وبالاستعانة بثمرات العقول وما أنتجته الفلسفة والعلم فلن يصلوا إلى ما جاء على لسان النبي الأمي-ﷺ - لأن عمل الإنسان مهما تكن قدرته ناقص، والكمال لله وحده"[1].

وثبوت عجز البشر وقصورهم إثبات للازمه وهو صدق النبي -ﷺ -، وبيان كون القرآن والسنة وحي من الله -عز وجل-، فما يكون لبشر أن يستقل بهذه التشريعات إلا أن يكون نبيًّا مؤيدا بالوحي من السماء.

ثانيا : الإعجاز التشريعي في أقوال العلماء وبوادر الاهتمام به .

ظهرت منذ زمن مبكر إشارات وتلميحات إلى الإعجاز التشريعي على لسان بعض العلماء في معرض حديثهم عن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ولعل أول هؤلاء **الإمام الخطابي** (388هـ) حيث قال: "واعلم أن القرآن إنما صار معجزا، لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمنا أصح المعاني من توحيد له —عزت قدرته-، وتنزيه له في صفاته ودعاء إلى طاعته، وبيان بمناهج عبادته، من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساوئها، واضعا كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيئا أولى منه، ولا يرى في صورة للعقل أمر أليق منه..." [2].

وقال **ابن جزي الكلبي** (741هـ) وهو يعدد وجوه الإعجاز:" والسابع ما شرع فيه من الأحكام وبين من الحلال والحرام وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة وأرشد إليه من مكارم الأخلاق، وذلك غاية الحكمة وثمرة العلوم"[3] وكلامه هذا أقرب إلى ما اصطلح على تسميته فيما بعد الإعجاز التشريعي.

أما من المتأخرين فقد قال **محمد رشيد رضا** (1935م) في السياق ذاته: "والخامس منها: إعجازه بعلومه الدينية وتشريعاته"، ثم يوضح هذا الوجه فيقول:" الوجه الخامس: اشتماله على العلوم الإلهية، وأصول العقائد الدينية، وأحكام العبادات وقوانين الفضائل والآداب وقواعد التشريع السياسي والمدني و الاجتماعي الموافقة لكل زمان ومكان، وبذلك يفضل كل ما سبقه من الكتب

---

[1] _ شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله- مجلة: المسلمون ،السنة الأولى، 1959،(12)، الزيوت: نشأة الإعجاز(12)

[2] _ بيان إعجاز القرآن :(27).

[3] _ التسهيل لعلوم التنزيل: (19/1).

السماوية، ومن الشرائع الوضعية، ومن الآداب الفلسفية، كما يشهد بذلك أهل العلم المنصفون من جميع الأمم... من آمن منهم بكونه من عند الله تعالى أنزله على رسوله الأمي، ومن لم يؤمن بذلك، ولاشك أن هذا الوجه من أظهر وجوه الإعجاز، فإن علوم العقائد ... والتشريع الديني والمدني والسياسي هي أعلى العلوم، وقلما ينبغ فيها من الذين ينقطعون لدراستها السنين الطوال و الأفراد القليلون، فكيف يستطيع رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب ولا نشأ في بلد علم وتشريع أن يأتيَ ما في القرآن منها تحقيقا وكمالا، ويؤيده بالحجج والبراهين بعد أن قضى ثلثي عمره لا يعرف شيئا منها، ولم ينطق بقاعدة ولا أصل من أصولها، ولا حكم بفرع من فروعها إلا أن يكون ذلك وحيا من الله تعالى"[1].

-**فأول من ذكر مصطلح الإعجاز التشريعي صراحة** وعده من وجوه الإعجاز **"محمد عبد الله دراز"** في كتابه "النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن" (الذي بدأه عام 1933م)، وقد وافته المنية قبل أن يفصل الحديث فيه.

- **وأول من أفرد الإعجاز التشريعي ببحوث مستقلة "محمد أبو زهرة"** (1974م) نشرت في مجلة " المسلمون" ومما تناول من الموضوعات : العتق والرق، تعدد الزوجات، الطلاق، الميراث، الحريات العامة والخاصة، حقوق المرأة، قتال المعتدين، وأقام الدليل على أنها تشريعات محكمة ولا يمكن أن يأتي بها أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب.

في حين ألمح "سيد القطب" (1966) إلى أن التعرّف على الإعجاز التشريعي يكون بالمقارنة بين ما تضمنه القرآن الكريم من التشريعات وبين ما وصل إليه العقل البشري على مر العصور من النّظم والقوانين[2].

هذا وكل ما يقال عن القرآن ينطبق على السنة لأن الإعجاز التشريعي ليس موضوعه اللفظ وإنما موضوعه التشريع ذاته، ومن السنة ما جاء مفسرا للقرآن: تقيد مطلقه، وتبين مجمله، وتخص عامة، وقد تستقل بالتشريع [3].

ثالثا : مجالات الإعجاز التشريعي.

---

[1] _ تفسير القرآن الحكم (تفسير المنار): (171-175).

[2] _ الزيوت: نشأة الإعجاز التشريعي (16، 17).

[3] _ محمد المرعشلي: الإعجاز التشريعي في السنة النبوية.https://www.iijazforum.org/sample-page /

مما تميز به التشريع الإسلامي شموله لجميع جوانب حياة المكلفين؛ فردية أو مجتمعية سواء كانت حافظة للضروريات أو محققة للحاجيات والتحسينات من مصالح العباد، وبحسب ذلك يمكن أن نقسم أحكامه أقساما هي:

– **فقه العبادات**: وهي الأحكام التي تنظم علاقة العبد بربه.

– **فقه المعاملات**: كالبيوع، والإجارة،.... والتي تنظم علاقة العبد بغيره من أفراد المجتمع.

– **فقه الأسرة والأحوال الشخصية**: تنظيم علاقة المرء بزوجه وأبنائه وأصوله.

– **فقه الأحكام السلطانية أو السياسية الشرعية**: وهي التي تنظيم علاقة أفراد المجتمع الإسلامي بالحاكم والسياسية.

– **فقه العقوبات**: وهي التي تحقق أمن أفراد المجتمع.

– **فقه الأحكام الدولية أو العلاقات الدولية**: وهي التي تظم علاقة المجتمع الإسلامي بغيره من المجتمعات والدول.

– **فقه الأخلاق**: وذلك لتحقيقها التحسينات من مصالح العباد.

هذه الأقسام هي ذاتها مواضع ومباحث الإعجاز التشريعي، التي يمكننا أن نتلمس فيها مظاهره، والتي تؤكد شمولية التشريع الإسلامي من جهة أخرى[1].

رابعا : مظاهر الإعجاز التشريعي.

1/– الشمول: حيث جاءت أحكام الشريعة شاملة لكل جوانب حياة المكلفين بها، وهو ما تبرزه جليا أقسام الأحكام التشريعية السالفة الذكر.

2/–المرونة: أي القدرة على إعطاء الحلول لكل مشكلة تطرأ في حياة الناس، في كل بيئة وعصر، وفي كل نازلة مستجدة، وذلك لاشتمال الإسلام على أصول وقواعد كلية ثابتة وعلل وحكم يمكن معها الاجتهاد والقياس، مما يسمح لها بمعالجة القضايا المستنجدة في الأمة في كل زمان إلى يوم القيامة.

3/–الدقة والسمو: اشتمال الأحكام الشرعية على حكم دقيقة وسامية وعلل وأسباب باقية وفاعلة.

---

[1] _ علي علان: الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، مظاهره وأدواره، مجلة البحوث والدراسات، (11).

4/– صلاحية الأحكام الشرعية لكل زمان ومكان، ومن أبرز مظاهرها– الصلاحية– تحقيقها لمصالح العباد.

5/– تحقيق العدل والمساواة بين جميع المكلفين.

6/– الواقعية: حيث يمكن تطبيقها في الواقع.

7/– الانسجام مع الفطرة والعقل السليم.

8/– عدم تناقض هذه الأحكام واختلافها.

كل هذه المظاهر تتجلى واضحة شاهدة على نفسها بالتميز والانفراد، عند المقارنة بين الشريعة الإسلامية والشرائع الأرضية– مؤكدة استحالة صدورها عن بشر ولو كان من أحكم الحكماء، بل لو كانت عن جملة عقلاء وحكماء جيل، فضلا عن محمد الأمي، بل دالة دلالة قاطعة على صدق محمد النبي وعلى أن مصدر هذه التشريعات هو الوحي الإلهي[1].

قال الدكتور علي علان: " القرآن الكريم هو مصدر التشريع الإسلامي الأول، والسنة الشريفة هي مصدره الثاني بما اشتملت عليه من تأسيس للأحكام، أو تبيين وتفصيل لتشريع القرآن– وهو الغالب– قال تعالى:﴿ **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾ [النحل: 44]، و تلك المزايا التي ذكرتها للتشريع الإسلامي تثبت له سواء كان مصدره القرآن أو السنة بما أسست من أحكام، والمظاهر التي ذكرتها فيه– مع النظر إلى أمية النبي –ﷺ– وخلو الشرائع عن مثلها آنذاك، وحتى يومنا هذا، وامتناع تحققها في أي تشريع أرضي لقصور نظر الإنسان وعجز العقل البشري– تحقق الغاية المرادة من المعجزة، وهي في التشريع القرآني والنبوي سواء.

وعليه فإن هذه المظاهر في التشريع الإسلامي وجه إعجاز في القرآن الكريم، ودليل مصدره الرباني، وأنه كلام الله الذي لا يشابه كلام، ودليل صدق المرسل به المنزل عليه، وأسلوب دعوة إلى القرآن بالقرآن، كما تثبت أن السنة النبوية وحي رباني، ابتداء أو انتهاء قال سبحان: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾"[2].

---

[1] _ علي علان: الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، مظاهره وأدواره،(15).

[2] _ المصدر نفسه: 18.

خامسا : نماذج من الإعجاز التشريعي في السنة النبوية

في السنة النبوية أحاديث أحكام كثيرة يمكن اعتبارها إعجازاً تشريعياً، ففي كتاب البيوع وحده واحد وعشرون باباً يندرج تحتها أنواع كثيرة من البيوع، تم النهي عنها والحكم ببطلانها لما فيها من الغرر، وذلك حماية للمجتمع وأفراده من المنازعة والتشاحن والتباغض، وسنكتفي بعرض ثلاثة أنواع من هذه البيوع تبياناً للإعجاز التشريعي فيها. كما سأعرض بعض وجوه الإعجاز التشريعي في فريضة الزكاة مما كان له تعلقا بأحاديث المصطفى-ﷺ -.

النموذج الأول: بطلان البيع الذي فيه غرر

– عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال:" نهى رسول الله -ﷺ – عن بيع الحصاة[1] وعن بيع لغرر"[2]

والنهي عن بيع الغرر هو أصلٌ عظيم من أصول كتاب البيوع، ويدخل فيه مسائل كثيرة غير منحصرة كبيع الآبق ، والمعدوم، والمجهول، وما لا يقدر على تسليمه، وما لم يتمّ ملك البائع عليه، وبيع السمك في الماء الكثير، واللبن في الضرع، وبيع الحمل في البطن، وبيع بعض الصبرة مبهماً، وبيع ثوب من أثواب، وشاةٍ من شياهٍ، ونظائر ذلك، وكل هذا بيعه باطل لأنه غرر من غير حاجة، ومن أمثلة هذه البيوع في زماننا شراء الأدوات المنزلية أو الكهربائية أو السيارات وغيرها وهي غير موجودة في الشركات، وأجمع المسلمون على بطلان بيع الأجنة في البطون، والطير في الهواء بسبب الغرر إلا إن دعت حاجة إلى ارتكاب الغرر، ولا يمكن الاحتراز عنه إلا بمشقة، وكان الغرر حقيراً جاز البيع وإلا فلا، وكانت هذه البيوع من بيوعات الجاهلية المشهورة، لكن أبطلها النبي -ﷺ- بالنصوص التشريعية لما ينتج عنها من شرور ومفاسد وظلم وغبن مالي وتجاري ومنازعات سادت المجتمع[3].

النموذج الثاني: بُطلان بيع المبيع قبل القبض.

---

[1] _ بيع الحصاة فيه ثلاث تأويلات :

أحدها أن يقول : بعتك من هذه الأثواب ما وقعت عليه الحصاة التي أرميها ، أو بعتك من هذه الأرض من هنا إلى ما انتهت إليه هذه الحصاة .

والثاني : أن يقول : بعتك على أنك بالخيار إلى أن أرمي بهذه الحصاة .

والثالث : أن يجعلا نفس الرمي بالحصاة بيعا ، فيقول : إذا رميت هذا الثوب بالحصاة فهو مبيع منك بكذا .

النووي : المنهاج (10 / 156).

[2] _ مسلم : الصحيح: ك: البيوع، ح(3881).

[3] _ النووي : المنهاج (10 / 156).

فعن النبي -ﷺ- أنه قال: [**من ابتاع طعاماً، فلا يبعه حتى يستوفيه**] [1]، وفي رواية: "**حتى يقبضه**" وفي رواية: "**كنا نشتري الطعام من الركبان جزافاً، فنهانا رسول الله -ﷺ -أن نبيعه حتى ننقله من مكانه**"[2]، والعلة في ذلك أن عدم استيفاء السلعة أو قبضها أو استلامها بيد الشاري يؤدي إلى فتح باب الريب والشكوك الموصلة للمنازعات، فربما تنشأ ظروف قاهرة تمنع التسليم أو تتلف السلعة، أو تودي بها إلى الهلاك، فإذا باعها صاحبها قبل استلامها دخل مع زبونه في دائرة التزوير والغش وعدم القدرة على التسليم، فصار كبيع المجهول والمعدوم أي بيع الغرر.

ولهذا كله حرص النبي -ﷺ - على منع ذلك باستيفاء السلعة ابتداءً، لسد الذرائع، وكم توجد اليوم بيوع معاصرة يندم أصحابها على فعل الشراء لأنها غير مقدورة التسليم كونها وهمية أو غير موجودة أو لا تتفق والشروط التي طالب بها الشارع الحكيم؛ مثل التجارة بالبورصة أو الشراء على الانترنيت بدون الضوابط الشرعية!! فيصبح أصحابها ضحية اللصوص، وتذهب أموالهم ضياعاً وحسرة وندامة.

النموذج الثالث: النهي عن بيع الثمار قبل بدوّ صلاحها.

عن ابن عمر: "**أن رسول الله -ﷺ - نهى عن بيع الثمر حتى يبدو صلاحها، نهى البائع والمبتاع**"[3] وفي لفظ: "**نهى عن بيع النخل حتى يزهو**"[4]، **وفي لفظ آخر :"لا تبتاعوا الثمر حتى يبدو صلاحه وتذهب عنه الآفة**"[5].

والعلة واضحة في النهي عن مثل هذا البيع وهي الخوف من عدم ظهور الثمار إذا تعاقد الشاري والبائع قبل هذه المرحلة فيكون كشراء المعدوم، وهذه المشكلة تنتشر اليوم في العقود الزراعية باسم "ضمان الأراضي" خلافاً للسنة حيث يضمن أصحاب البساتين الزراعية محصولها على مبلغ معين

---

[1] _ البخاري : الصحيح ، ك: البيوع، ب: الكيل على البائع والمعطي، ح(2019)،
مسلم : الصحيح: ك: البيوع، ح(3913).

[2] _ مسلم : الصحيح: ك: البيوع، ح(3920).

[3] _ مسلم : الصحيح: ك: البيوع، ح(3941).

[4] _ البخاري : الصحيح ، ك: البيوع، ب: بيع النخل قبل أن يبدو صلاحها، ح(2085)،
مسلم : الصحيح: ك: البيوع،ح(3943).

[5] _ مسلم : الصحيح: ك: البيوع، ح(3944).

قبل ظهور ثمارها، وربما ظهرت آفة أو جائحة أو صقيع أو جفاف مانع لظهور الثمار، فتبدأ المنازعات بين المتعاقدين ومعها خراب بيوت الناس، وهذا الذي حذر منه -ﷺ-، فلله در هذا التشريع العظيم! وهذا النبي المشرّع الحكيم[1].

النموذج الرابع : الإعجاز التّشريعي من شرط النّصاب[2] .

– عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- يقول : قال النبي -ﷺ-: **[ليس فيما دون خمس أواق صدقة وليس فيما دون خمس ذود صدقة وليس فيما دون خمس أوسق صدقة] [3]**

لم يفرض الإسلام الزّكاة في أيّ قدر من المال، بل اشترط له مقدارا محدّدا هو "النّصاب" الذي يؤهل صاحب المال أن يخرج نسبا مقرّرة لكلّ جنس حسب نظام عددي دقيق ومتكامل، وهذا من الإعجاز التّشريعي في ضبط حدّ الغنى لدى الأفراد في المجتمعات المختلفة في كلّ عصر ومصر...فمتى بلغ أيّ مال النّصاب المقرّر شرعا اعتبر غنِيًا ،ووجب فيه الزّكاة... وقد جاءت الأحاديث عن رسول الله -ﷺ- بإعفاء ما دون الخمس من الإبل، والأربعين من الغنم، ومائتي درهم من الفضّة، وعشرين مثقالا من الذّهب، وخمسة أوسق من الحبوب والثمار.. فكلّ مال لم يصل إلى هذه الحدود من الأنصبة لا يكون في نظر التّشريع الإسلامي محلاّ لمواساة الغير وعونهم... وقد بيّن علماء الإسلام السّر التّشريعي من النّصاب في كثير من مصنفاتهم وإليك أقوالهم :

– قال الكاساني : " ... لا تجب إلاّ على الغنيّ، والغنى لا يحصل إلاّ بالمال الفاضل عن الحاجة الأصلية، وما دون النّصاب لا يفضل عن الحاجة الأصليّة، فلا يصير الشّخص غنيّا به"[1].

– وقد بيّن الإمام الشاطبي انتفاء حكمة النّصاب مع وجود الدّين فقال : "... فإذا قلنا : الدّين مانع من الزّكاة، فمعناه أنّه سبب يقتضي افتقار المديان إلى ما يؤدي به دينه، وقد تعيّن فيما

---

[1] _ ينظر : محمد المرعشلي: الإعجاز التشريعي في السنة النبوية.

[2] _ ينظر : الإعجاز التشريعي الإعجاز التشريعي من فريضة الزكاة وشروط أصناف أموالها ومقاديرها وأنصبتها والترابط الدقيق الحاصل بينها : نجيب بوحنيك/ سلاف لقيقط (166 ،167)

[3] _ البخاري : الصحيح ، ك: الزكاة، ب: ما أدي زكاته فليس بكنز، ح(1340)،
مسلم : الصحيح: ك: الزكاة، ح(2310).
الوَسَق (الوِسْق) : ستون صاعا، الذود : الإبل، الأوقية: أربعون درهما.

[1] – الكاساني : بدائع الصّنائع (15/2).

بيده من النّصاب، فحين تعلّقت به حقوق الغرماء انتفت حكمة وجود النّصاب، وهي الغنى الذي هو علّة وجوب الزّكاة فسقطت"[2].

– وقال في موضع آخر : "... حدّ الغنى بالنّصاب "[3].

– قال ابن القيم –رحمه الله– : " ثمّ إنّه لما كان لا يحتمل المواساة كلّ مال وإن قلّ، جعل للمال الذي تحتمله المواساة نصبا مقدّرة المواساة فيها، لا تجحف بأرباب الأموال، وتقع موقعها من المساكين"[4].

وقد بين الدكتور يوسف القرضاوي سبق الشريعة الإسلامية منذ أزيد من أربعة عشر قرنا من الزمان إلى إعفاء ذوي الدّخل المحدود من الضّريبة، فقال : " والحكمة في اشتراط النّصاب واضحة بينة، وهي أنّ الزّكاة إنّما هي ضريبة تؤخذ من الغنيّ مواساة للفقير، ومشاركة في مصلحة الإسلام والمسلمين، فلا بدّ أن تؤخذ من مال يحتمل المواساة، ولا معنى لأن تؤخذ من الفقير ضريبة، وهو في حاجة إلى أن يعان، لا أن يعين، ومن ثم قال –ﷺ– :**[لا صدقة إلاّ عن ظهر غنى]** [1]

ومن هنا اتجه التشريع الضريبي الحديث إلى إعفاء ذوي الدخل المحدود من فرض الضرائب عليهم، رفقًا بهم، ومراعاة لحالهم، وعدم مقدرتهم على الدفع، وهو ما سبقت به شريعة الله منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان"[2] .

النموذج الخامس : الإعجاز التّشريعي من مقادير أموال الزّكاة[3].

– عن أَنَس– رضي الله عنه– " أَنَّ أَبَا بَكْرٍ– رضي الله عنه– كَتَبَ لَهُ هَذَا الْكِتَابَ لَمَّا وَجَّهَهُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ؛ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذِهِ فَرِيضَةُ الصَّدَقَةِ الَّتِي فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالَّتِي أَمَرَ اللَّهُ

---

[2] – الشاطبي : الموافقات (412/1).

[3] – الشاطبي : الموافقات (14/4).

[4] – ابن القيم : زاد المعاد (221)، وانظر : أعلام الموقعين (78/2-79).

[1] – البخاري : الصحيح، ك : الزكاة، باب : لاصدقة إلاّ عن ظهر غنى ،ح(1426) عن أبي هريرة بلفظ: [**خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول**].

[2] – القرضاوي : فقه الزّكاة (151/1).

[3] – ينظر : الإعجاز التشريعي الإعجاز التشريعي من فريضة الزكاة وشروط أصناف أموالها ومقاديرها وأنصبتها والترابط الدقيق الحاصل بينها : نجيب بوحنيك/ سلاف لقيقط (171، 172).

وفي الورقة البحثية تم عرض وجوه أخرى للإعجاز التشريعي في فريضة الزكاة وما يتعلق بها من أحكام حال المقام دون عرضها، وطلبا للإفادة والنفع أردفتها بالمذكرة كملحق.

بِهَا رَسُولَهُ ... وَفِي الرِّقَّةِ رُبْعُ الْعُشْرِ"[1].

– عن عبد الله بن عمر– رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: [**فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر، وما سقي بالنضح نصف العشر**] [2]

– عن أبي هريرة – رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال : [**العجماء جبار والبئر جبار والمعدن جبار وفي الركاز الخمس**] [3].

فاوت الشّارع الحكيم في المقادير الواجبة في أصناف الزّكاة وذلك تبعا لمقدار السّعي ونسبة الجهد في تحصيلها، فما كان سهلا في تحصيله كان المقدار الواجب فيه أكثر ممّا كان في تحصيله مشقة وتعبا، وفي هذا يتجلى الإعجاز التشريعي في تحديد مقادير الزكاة.

قال **ابن القيم** –رحمه الله– : " ثم إنّه فاوت بين مقادير الواجب بحسب سعي أرباب الأموال في تحصيلها، وسهولة ذلك، ومشقّته، فأوجب الخمس فيما صادفه الإنسان مجموعا محصّلا من الأموال، وهو الرّكاز، ولم يعتبر له حولا، بل أوجب فيه الخمس متى ظفر به.

وأوجب نصفه وهو العشر فيما كانت مشقّة تحصيله وتعبه وكلفته فوق ذلك، وذلك في الثّمار والزروع التي يباشر حرث أرضها وسقيها وبذرها، ويتولّى الله سقيها من عنده بلا كلفة من العبد ولا شراء ماء، ولا إثارة بئر ودولاب.

وأوجب نصف العشر، فيما تولى العبد سقيه بالكلفة، والدّوالي، والنّواضح وغيرها.

وأوجب نصف ذلك، وهو ربع العشر، فيما كان النّماء فيه موقوفا على عمل متّصل من ربّ المال، بالضّرب في الأرض تارة، وبالإدارة تارة، وبالتّربص تارة، ولا ريب أن كلفة هذا أعظم من كلفة الزّرع والثمار"[1].

– وقال **ابن تيمية** –رحمه الله– : " وجعل المال المأخوذ على حساب التّعب : فما وجد من أموال الجاهلية هو أقلُّه تعبا ففيه الخمس، ثم ما فيه التّعب من طرف واحد فيه نصف الخمس وهو

---

[4] – البخاري : الصحيح ، ك: الزكاة، ب: زكاة الغنم، ح(1386). والرقة هي: الفضة الخالصة.

[5] ا– لبخاري : الصحيح ، ك: الزكاة، ب: في الركاز الخمس، ح(1428)،
مسلم : الصحيح: ك: الحدود، ح(4562).

[6] – البخاري : الصحيح ، ك: الزكاة، ب: العشر فيما يسقى من ماء السماء، ح(1412)،
مسلم : الصحيح: ك: الزكاة، ح(2319).

[1] – ابن القيم : زاد المعاد (219–220).

العشر فيما سقته السّماء، وما فيه التّعب من طرفين فيه ربع الخمس وهو نصف العشر فيما سقي بالنّضح، وما فيه التّعب في طول السّنة كالعين ففيه ثُمن ذلك وهو ربع العشر"[2].

– وقال **ابن القيم** –رحمه الله– : " ثمّ لما كان حصول النّماء والرّبح بالتّجارة من أشقّ الأشياء وأكثرها معاناة وعملا خففها بأن جعل فيها ربع العشر، ولما كان الرّبح والنّماء بالزّروع والثّمار التي تسقى بالكلفة أقلّ كلفة، والعمل أيسر، ولا يكون في كلّ السّنة جعله ضعفه، وهو نصف العشر، ولما كان التّعب والعمل فيما يشرب بنفسه أقلّ، والمؤنة أيسر جعله ضعف ذلك، وهو العشر، واكتفى فيه بزكاة عامّة خاصّة فلو أقام عنده بعد ذلك عدّة أحوال لغير التّجارة لم يكن فيه زكاة، لأنّه قد انقطع نماؤه وزيادته بخلاف الماشية، وبخلاف ما لو أعدّ للتّجارة، فإنّه عرضة للنّماء، ثمّ لما كان الرّكاز مالا مجموعا محصّلا، وكلّفة تحصيله أقلّ من غيره، ولم يحتج إلى أكثر من استخراجه كان الواجب فيه ضعف ذلك، وهو الخمس" [3]

– وقال **ابن قدامة** : "ولأنّ الزّكاة إنّما تجب في المال النّامي، وللكلفة تأثير في تعليل النّماء، فأثّرت في تقليل الواجب فيها "[1].

وهكذا نلحظ أن الإعجاز التّشريعي في تحديد مقادير الزّكاة راعى فيها الجهد البشري حتّى يتحرّى كامل العدالة، ويبعد ولو مثقال ذرّة من ظلم عن هذا المخلوق البشري، ليبرهن بذلك عن كمال الشريعة وحسنها، ومدى السّبق الذي أحرزته في مثل هذه النّظم الماليّة :

– وقد بيّن **الدكتور القرضاوي** اهتمام الشريعة بمبدأ الجهد المبذول، وسبق عدالة الإسلام في تقريره، فقال : "وهنا أعطى الإسلام مبدءا لَهُ وزنه وخطره في عالم التّشريع الضّريبي، وذلك هو تنويع سعر الواجب وفق الجهد المبذول، فلّما قلّ الجهد ارتفعت نسبة الضّريبة وكلّما زاد الجهد هبطت النّسبة"[2].

– وقال أيضا : "ومن عدل الإسلام أنّه فاوت بين مقادير الواجب بتفاوت الجهد المبذول من الإنسان ... وهذا المبدأ لم يلتفت إليه غير التّشريع الإسلامي –فيما نعلم– وهو مبدأ جدير

---

[2] – ابن تيمية : مجموع الفتاوى (8/25).

[3] – ابن القيم : زاد المعاد (78/2).

[1] – ابن قدامة : المغنّي (699/2).

[2] – القرضاوي : فقه الزّكاة (1033/2).

بالرّعاية، وما أجدر رِجَالُ الماليّة العامّة أن يلتفتوا إليه، وينتفعوا به فإنّهم راعوا في ضريبة الدّخل مصدره فقط، ولم يعطوا أدنى اهتمام للجهد المبذول فيه وتفاوته"[3].

– و قال **ابن القيم**:"فانظر إلى تناسب هذه الشّريعة الكاملة التي بهر العقول حسنُها وكمالُها، وشهدت الفطر بحكمتها، وأنّه لم يطرق العالم شريعة أفضل منها، ولو اجتمعت عقول العقلاء، وفطر الألباء، واقترحت شيئا يكون أحسن مقترح، لم يصل اقتراحها إلى ما جاءت به"[4]

وممّا يلاحظ عن نسبة تغيّر الأنصبة بتغيّر الجهد أنّها علاقة عكسيّة : فكلّما زاد الجهد نقص المقدار، وكلّما نقص الجهد زاد المقدار.

– قال الأستاذ **بشير مصطفى** : "... تعطي الزّكاة قيمة أكبر للجهد والعمل من خلال نسب إخراج الزّكاة بالقياس إلى نوعيّة الوعاء (نوعيّة الأصناف) ..وترتفع هذه النّسبة حسب درجة إدماج الجهد البشري في المنتوج"[5].

---

[3] – القرضاوي : فقه الزكاة (1043/2).

[4] – ابن القيم : أعلام الموقعين (78/2).

[5] – بشير مصطفى : مقال بعنوان : نظام الزكاة من منظور الاقتصاد، فراغات في القياس والمحاسية واقترابات في المنهجيّة.

المحاضرة الخامسة :

الوجه الرابع : الإعجاز الغيبي في السنة النبوية:

أولا : تعريف الإعجاز الغيبي في السنة النبوية

– أما لفظة " الإعجاز فقد سبق تعريفها.

تعريف الغيب لغة واصطلاحا

الغيب في اللغة: الغين والياء والباء أصل صحيح يدل على تستر الشيء عن العيون، وكل ما غاب عنك أو كل غائب عن العيون وإن كان محصلا في القلوب فهو غيب، ثم يقاس من ذلك الغَيْب: ما غَابَ، ممّا لا يعلمه إلا الله.

– والغيب خلاف الشهادة والحضور[1].

الغيب في الاصطلاح

وردت لفظة الغيب في القرآن الكريم في ستة وخمسين موضعا، منها:

– قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[البقرة : 3]

– و قوله– عزمن قائل– : ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران : 44].

– وقوله – سبحانه– : ﴿...فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾[النساء : 34]

– وقال – عزوجل– : ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة : 94].

أما في السنة فقد وردت لفظة" الغيب" في أحاديث نبوية كثيرة ، منها:

– حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال "سألت عائشة أم المؤمنين بأي شيء كان نبي الله –ﷺ– يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت :كان إذا قام من الليل افتتح صلاته **[اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم]**" [2].

---

[1] ابن فارس : معجم مقاييس اللغة (4 / 403)، الزيات وآخرون : المعجم الوسيط (667/2)

[2] _ مسلم : الصحيح : ك: صلاة المسافرين، ح(1847).

– عن عائشة –رضي الله عنها– قالت : "من حدثك أن محمدا –ﷺ–رأى ربه فقد كذب وهو يقول:﴿ **لا تدركه الأبصار**﴾ ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول: ﴿**لا يعلم الغيب إلا الله**﴾"[1]

يتلخص مما سبق أن الغيب في القرآن الكريم هو ما غاب عن الحواس، وهو الأمر الذي لا يعلمه إلا الله، ولا يعلمه الرسول –ﷺ– فضلا عن بقية الناس، إلا من أطلعه الله على شيء منه.

أما علماء الإسلام فقد عرفوا الغيب بعبارات متقاربة، منها:

– قال **الراغب الأصفهاني** :" الغيب مصدر غابت الشمس، وغيرها إذا استترت عن العين...قال تعالى : ﴿**أم كنت من الغائبين**﴾ واستعمل في كل غائب عن الحاسة، وعما يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب،﴿ **وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين** ﴾ ويقال للشيء غيب وغائب باعتباره بالناس، لا بالله تعالى، فإنه لا يغيب عنه شيء كما ﴿ ... **لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾ [سبأ : 3]"[2].

– و قال **ابن العربي** :" وحقيقته ما غاب عن الحواس مما لا يوصل إليه إلا بالخبر دون النظر"[3]

- وعليه فإن **الإعجاز الغيبي في السنة النبوية** : هو أن يخبر النبي– ﷺ– في أحاديثه بأمور وقعت أو سوف تقع في زمانه أو بعده وحتى قيام الساعة، مما لا يمكن أن يطلع عليه إلا من هو مؤيد بالوحي، ولا يوجد لها مقدمات في عصره، وتحققت على وفق ما أخبر به – ﷺ–[4].

ويعد هذا الوجه أكثر وجوه الإعجاز دلالة على صدقه –ﷺ– لأن كشفه وإعلامه ببعض الأحداث التي ستقع، أو إخباره بما وقع ولم يحضره، أو لم يشاهده دليل على أن الله عالم الغيب والشهادة هو وحده سبحانه من أطلعه عليها وأوحى بها إليه لقوله تعالى :﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ** ...﴾ [آل عمران:44] .

---

[1] _ البخاري : الصحيح : ك: التوحيد، ب : قول الله تعالى : ﴿ عالم الغيب...﴾ ، ح(6945).

[2] _ المفردات :(366/1).

[3] _ أحكام القرآن:(15/1)

[4] _ ينظر: شحادة العمري : الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم والحديث (192) القزقي: الإعجاز الغيبي في السنة (318)

ثانيـا : وجوه الإعجاز الغيبي في السنة النبوية[1]

يمكن تحديد وجوه الإعجاز الغيبي في السنة النبوية انطلاقا من أنواع الغيب في ثلاث نقاط هي:

– الغيب المتعلق بالماضي مما لم يشهده، ولا علم له به، كالإخبار عن قصص الأنبياء، وأنبائهم مع قومهم، وما حدث لبعض الأفراد من الأمم السابقة.

– الغيب المتعلق بالحاضر: كإعلامه –ﷺ– عن حوادث حضرها ولم يشاهدها، وإخباره عن أسرار المنافقين، ومكائدهم، وما يحدث لأصحابه وهم بعيدون عنه.

– الغيب المتعلق بالمستقبل : كالإخبار عن أمور وأحداث ستقع في المستقبل، سواء كان ذلك بتحديد مدة لوقوعها، أو أطلق من غير تحديد، وهو الغالب.

ثالثـا: خصائص الإعجاز الغيبي في السنة النبوية[2]

1– قطعية الوقوع : فإذا صح الحديث عن رسول الله –ﷺ– فإن ما فيه من غيب سيقع حتما كما أخبر، دون أدنى شك في ذلك.

2– الدقة في الألفاظ والعبارات: وهذه الدقة لها دور كبير في اكتشاف مواطن الإعجاز، وتوضيح الأحداث، وتشكيل الرؤية المستقبلية بناء على ما أخبر به المعصوم –ﷺ–.

3– شمولية الأحداث : بمعنى الأحاديث الغيبية التي يخبر بها رسول الله –ﷺ– لعموم الزمان والمكان، فقد يخبر بشيء يحدث بعد وفاته بآلاف السنين، أو يحدث في أقصى الأرض، ويجمع بينها: أنها إخبار بغيب لم تقع، وليس لأحد أن يخبر به، أو يعرفه إلا المعصوم –ﷺ–.

4– السلامة من الخلل والاضطراب : فالسنة نوع من أنواع الوحي، قال تعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ [النجم : 1، 2]، فلا يمكن أن ينشأ تعارض بين أمرين أخبر بهما النبي –ﷺ– في حديثين، وإن بدى تعارض فهو ظاهري، يحتاج لإزالته فهم صحيح، وجمع للأدلة لإزالة ذلك التعارض.

---

[1] _ ينظر: شحاتة صقر: الموسوعة الميسرة في الإعجاز (302)، أيمن محمود مهدي محمد : وجوه الإعجاز في السنة النبوية – بحث- (715/6)

[2] _ أيمن محمد : وجوه الإعجاز في السنة النبوية المطهرة – بحث- (715/6).

5- يعد الإعجاز الغيبي للرسول-ﷺ- في سنته من أكثر الأدلة على صدقه لأن إخباره بالأحداث التي ستقع أو وقعت بالفعل ولم يشاهدها رسول الله-ﷺ- فيه دلالة على أن الله هو الذي أوحى بها إليه مصداقا لقوله تعالى : ﴿ **تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا** ﴾ [هود : 49].

رابعا : نماذج من الإعجاز الغيبي في السنة النبوية

- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال : [**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**][1] وقد وقع ذلك زمن الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان — رضي الله عنهم-.

- عن علي -رضي الله عنه- قال : "بعثني رسول الله -ﷺ- أنا والزبير والمقداد بن الأسود، قال:[**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها**]، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة فقلنا :أخرجي الكتاب فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله -ﷺ - فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله -ﷺ- فقال رسول الله -ﷺ- : [**يا حاطب ما هذا؟**] قال : يا رسول الله لا تعجل علي، إني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قَرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله -ﷺ- :[**لقد صدقكم**]قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال:[**إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**]" [2]

- عن أنس -رضي الله عنه- " أن النبي -ﷺ- نعى زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال :[**أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب**

---

[1] _ البخاري : الصحيح ، ك: الخمس، ب:قول النبي-ﷺ- :[**أحلت لكم الغنائم**...]، ح(2952)
مسلم : الصحيح، ك : الفتن وأشراط الساعة، ح(7513).

[2] _ البخاري : الصحيح، ك: الجهاد والسير، ب: الجاسوس، ح(2845).

-وعيناه تذرفان-، **حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم]**"[1].

– عن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- قالت: "قال رسول الله -ﷺ- :[**أسرعك لحاقا بي أطولكن يدا]**. قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا، قالت : فكانت أطولنا يدا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق"[2].

قال النووي:" معنى الحديث أنهن ظنن أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية ، وهي الجارحة ، فكن يذرعن أيديهن بقصبة ، فكانت سودة أطولهن جارحة ، وكانت زينب أطولهن يدا في الصدقة وفعل الخير ، فماتت زينب أولهن ، فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود"[3]

– عن عدي بن حاتم قال : "بينا أنا عند النبي -ﷺ- إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ،ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال:[**يا عدي هل رأيت الحيرة]**، قلت : لم أرها وقد أنبئت عنها. **قال : [فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله]**. قلت -فيما بيني وبين نفسي-: فأين دعار طيئ الذين قد سعروا البلاد؟ **[ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى]** . قلت: كسرى بن هرمز؟ قال :**[كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه، فلا يجد أحدا يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فليقولن له : ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك؟ فيقول : بلى، فيقول: ألم أعطك مالا وأفضل عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم]** قال عدي :سمعت النبي -ﷺ- يقول :[**اتقوا النار ولو بشقة تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة**]قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم -ﷺ- **[يخرج ملء كفه]**"[4]. وقد وقع في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز البحث عمن يأخذ الصدقة فلم يجدوا، فردت الصدقة إلى بيت المال.

---

[1] _ البخاري : الصحيح، ك: فضائل الصحابة، ب: مناقب خالد بن الوليد، ح(3547).

[2] _ البخاري : الصحيح، ك: الزكاة، ب: أي الصدقة أفضل...، ح(2845).

مسلم : الصحيح، ك: فضائل الصحابة، ح(6470)

[3] _ المنهاج : (16/ 8)

[4] _ البخاري : الصحيح، ك: المناقب، ب: علامات النبوة في الإسلام، ح(3400).

– عن أبي هريرة قال قال النبي –ﷺ– :[**لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل القتل، حتى يكثر فيكم المال فيفيض**] [1].

[1] _ البخاري : الصحيح، ك: الاستسقاء، ب: ما قيل في الزلازل والآيات، ح(989).

المحاضرة السادسة:

الوجه الخامس : الإعجاز التربوي في السنة النبوية

القسم الأول : مفهوم الإعجاز التربوي في السُنّة وخصائص التربية النبوية

أولا : مفهوم الإعجاز التربوي في السنة النبوية.

أما لفظة "إعجاز" فسبق تعريفها.

تعريف "التربية" لغة واصطلاحا:

"التربية" في اللغة [1]: تدور كلمة تربية في اللغة على جملة من المعاني قال ابن فارس:« الراء والباء يدل على أصول" منها:

1/– الإصلاح: أي إصلاح الشيء والقيام عليه، يقال: رب فلان ضيعته إذا قام على إصلاحها، والرب المصلح للشيء والله جل ثناؤه الربُّ لأنه مصلح أحوال خلقه، وهو المالك والخالق والصاحب، والربي: العارف بالرب.

2/– النماء والزيادة والارتفاع: يقال رب الشيء يربو، ربوا ورباءا، زاد ونماء وأربيته: نمّيته.

ومنه قوله تعالى: ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ**﴾ **[البقرة:276]** أي: ينميها في الدنيا بالبركة، ويكثر ثوابها بالتضعيف في الآخرة[2]،

وقوله أيضا : ﴿ **وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾ [الحج:5].بمعنى زادت وارتفعت.

3/– النشأة : يقال: ربيَ يربَى، على وزن خفي، يخفى: أي نشأ وترعرع، قال الأصمعي: "ربوت في بني فلان أربو: نشأت فيهم".

4/– ساس وتولى الأمر: يقال رب زيد الأمر إذا ساسه وقام بتدبيره.

5/– التعليم : جاء في تهذيب اللغة على لسان ابن الأعرابي:« الرّباني العالم المعلم الذي يغذوا النّاس بصغار العلوم قبل كبارها.

---

[1] _ ابن منظور: لسان العرب (1572/31)، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (381/2)، الفيومي: المصباح في المسير (291/2) الجوهري: الصحاح (130/1).

[2] _ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 402/4.

يتضح من خلال هذه المعاني أن التربية تدور حول الإصلاح والقيام بأمر المتربي، وتعهده ورعايته بما ينميه ويرفعه، وهي بدورها الأنشطة التي تقوم عليها العملية التربوية.

وقد استخدم القرآن الكريم لفظ "التربية" بمعنى التنشئة والتعاهد والرعاية، فقال على لسان فرعون: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء:18].

كذلك في عرضه لوجوه بر الوالدين، فقال:﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:24].

"التربية" عند أهل الاصطلاح:

تعددت أقوال العلماء في تعريف مصطلح "التربية" بسبب اختلاف نظرتهم لأهداف التربية، ووظائفها و أغراضها، وتأثر العملية التربوية بالعادات والتقاليد والقيم والأديان، والأعراف، إضافة إلى عاملي الزمان والمكان، ومن أهم ما جاء في تعريفها:

– قال **أرسطو طاليس** (384 قم):" التربية هي إعداد العقل للتعلم كما تعد الأرض للبذار"

– **وقيل** : " التربية هي أن تنشئ الفرد قوي البدن حسن الخلق، صحيح التفكير، محبا لوطنه معتزا بقوميته، مدركا واجباته مزودا بالمعلومات التي يحتاج إليها في حياته" [1].

– وقال **محمد رشيد رضا:** " ربوبية الله للناس تظهر بتربته إياهم تربية خلقية، بما يكون به نموهم وكمال أبدانهم وقواهم النفسية والعقلية، وتربية شرعية تعليمية بما يوحيه إلى أفراد منهم ليكمل به فطرتهم، بالعلم والعمل إذا اهتدوا به"[2].

– وذهب **الحازمي** إلى أنها: "تنشئة الإنسان شيئا فشيئا في جميع جوانبه ابتغاء سعادة الدارين وفق المنهج الإسلامي"[3].

وعليه فالمعنى الاصطلاحي للتربية لا يخرج عن كونها تنشئة الإنسان وإصلاح قيمه ومبادئه ومعتقداته، وتنمية جميع جوانب شخصيته، والارتقاء بها شيئا فشيئا بهدف تشكيل الشخصية السوية المتكاملة في جميع جوانبها؛ الروحية والعقلية والوجدانية والخلقية والاجتماعية والجسمية، مما يعود بالنفع على الفرد ذاته، وعلى مجتمعه والبشرية جمعاء، ولا يكون ذلك إلا وفق قيم الإسلام.

---

[1] _ محمد العماير: أصول التربية (10).

[2] _ تفسير المنار: (19).

[3] _ أصول التربية الإسلامية : (19).

من خلال تعريف لفظتي "الإعجاز" و"التربية" وبإضافة معنى كل منهما إلى الآخر يمكن القول بأن **الإعجاز التربوي في السنة النبوية** هو: سبقها – أي السُنَّة- لعلماء التربية من الخبراء والباحثين في الحديث عن الحقائق التربوية، وعرض أنماط وأساليب التربية الإيجابية في جميع النواحي والاتجاهات، أي سواء من حيث الشكل والمضمون أو المنهجية، وبتحقيق أسمى الصفات من حيث الشمولية و التوازن والإيجابية والواقعية والوظيفية، باعتبار أن السنة النبوية هي هدي المربي والمعلم الأول للأمة، وأن صاحبها -ﷺ- هو حامل لواء الإصلاح وقائد أعظم عملية تربوية عرفتها البشرية لم يشهد التاريخ لها مثيلا[1] .

وعرف مقداد يالجن الإعجاز التربوي عموما بأنه :" معارف تعليمية تربوية خارقة للعادة وردت في القرآن أو السنة، أظهرها الله في كتابه وسنة رسوله-ﷺ- تصديقا لما جاء به، لتكون منهاجا تربويا لأمته من بعده"[2].

وعليه فالإعجاز التربوي في السنة النبوية هو ما كان من هذه المعارف على لسان النبي-ﷺ- أو مستفاد من أفعاله ومقتبس من هديه الشريف في توجيه أصحابه وتعليمهم.

ثانيا : خصائص التربية النبوية.

تميزت التربية في السنة النبوية بخصائص الكمال والتوازن والواقعية مما أضفى على منهجها الشمول، ومن أبرز هذه السمات:

1/- ربانية المصدر والغاية:

فالتربية المعاصرة -بجميع صورها-ترجع إلى تنظيمات بشرية، وفلسفات إنسانية تنوء بالتناقضات التشريعية، وتزخر بالتشوهات التنفيذية الناجمة عن الرضوخ لأهواء القائمين عليها: تخطيطا، وتمويلا وتنفيذا.

أما التربية النبوية فلها عصمتها من حيث إنها منزهة عن الهوى لكون مصادرها إلهية، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

---

[1] _ فوزية الراوي : الإعجاز التربوي للقرآن الكريم(17، 33).

[2] _ معالم وجوه الإعجاز التربوي في القرآن والسنة.

وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[الجمعة:2].

هذه الربانية تجعل الإنسان يتوجه لرب واحد لا شريك له يستمد الهدي من كتابه وسنة نبيه -ﷺ- مخلصا له النية والقصد.

ومن هنا انعكست ربانية المصدر على ربانية المنهج وربانية الهدف والغاية، فالمسلم في ظل التوجيهات الإسلامية الربانية المصدر يبتغي بأقواله وأفعاله رضا الله –عزوجل- مستمدا لها من منهج الله تعالى، متبعا في ذلك أوامر الله مجتنبا نواهيه.

عن ابن مسعود –رضي الله عنه- قال: "خط لنا رسول الله -ﷺ- يوما خطا ثم قال:[**هذا سبيل الله**]، ثم خط خطوطا عن يمينه ويساره، ثم قال: [**هذه سُبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها**، ثم قرأ:﴿ **وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾]".

ومن مميزات التوجيه الرباني:

1/- أنه يربط حياة المسلم بربه، فيربط مثلا بين الإيمان والحب في الله، موجها ومرشدا إلى السبيل لذلك، فقال -ﷺ-:[**لا تدخلوا الجنة حتى تومنوا، ولا تمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**] [1]

2/- يقرن أحيانا بين طاعة الله وبعض الأخلاق تأكيدا على فضلها وتنبيها على مقامها وأهميتها في المنظومة التربوية، فجعل مثلا معاملة الوالدين بالأخلاق الفاضلة من جملة طاعة المولى –عزوجل- قال تعالى : ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [الإسراء:23].

3/- يرشد لأفضل الأخلاق وأسماها وأنبلها، مما تعارف عليه عقلاء البشرية[2].

2/-الشمول والتكامل:

الشمول والتكامل بكل ما تضمنته هاتين الكلمتين من معان وأبعاد، يعتبرا من الخصائص التي تميز بها الإسلام عن كل ما عرفه الناس من الأديان والفلسفات والمذاهب.

---

[1] _ مسلم : الصحيح : ك : الإيمان، ح(203).

[2] _ ينظر : الحازمي: أصول التربية الإسلامية (46)، مصطفى رجب : الإعجاز التربوي في القرآن والسنة (128).

والتربية النبوية تربية عامة شاملة شمولا يستوعب الزمن كله، ويستوعب الحياة كلها، ويستوعب كيان الإنسان كله:

فهو **شمول على مستوى الموضوع** : حيث عالجت موضوعاتها كل ما يحتاج إليه الإنسان في حياته ومعاده، وكل علاقاته سواء ما كان منها بربه، أو مع نفسه، أو مع الآخرين.

وهو **شمول على مستوى الإنسان المخاطب**: حيث شمل الخطاب التربوي النبوي البشرية جمعاء على اختلاف أجناسها وأعمارها فاستوعب الرجال والنساء والصغار والكبار.

وهو **شمول على مستوى الزمان والمكان** : لصلاحيتها لكل زمان و مكان، صلاحية تضمن لها الاستمرارية والخلود إلى قيام الساعة، وتتجاوز بها حدود الزمان والمكان.

وهو **شمول على مستوى الفطرة** : بما تحدثه من توافق بين مطالب الروح ومطالب الجسد، فتكون بهذا قد استوعبت كيان الإنسان كله[1].

فالتربية النبوية شاملة، وهي أيضا متكاملة، إذ تهتم بتنمية الفرد ككل متكامل من جميع جوانب شخصيته، وكذلك المجتمع، فلا تتعامل مع جانب بمعزل عن الجوانب الأخرى، ففي اهتمامها بالجانب الجسمي –مثلا– من شخصية الفرد اهتمام بتنمية بقية جوانبه الشخصية، كالجانب العقلي، والاجتماعي، والعقدي، والروحي...إلخ.

كما يلحظ ذلك التكامل أيضا بين الوسائل والأهداف، وبين النظرية والتطبيق، وبين العلم والعمل، كما نجده بين المؤسسات النظامية وغير النظامية، إذ تتم في الشارع والمدرسة والمنزل والمسجد وفي النادي...إلخ. [2].

أما وجه الأعجاز في هذا فقد أشار إليه إحسان الأغا، فقال:" إن شمولية الأهداف قضية انتهت إليها الآراء التربوية المعاصرة بعد جولة ضلال ركزت فيها على المادة مرة، وعلى الجسم مرة، وعلى الروح مرة، أو على المثاليات مرة، وعلى الواقع مرة، ثم عادت الكرة، وشمولية الأهداف اهتدت إليها التربية الإسلامية منذ أربعة عشر من القرون ولم تتغير مرة، وتكامل جوانب الإنسان هو محور التربية الغربية المعاصرة اهتدت إليه منذ فترة قصيرة، وتكامل جوانب الإنسان هو محور من محاور التربية الإسلامية الأصلية، ومن هذه الجوانب: الجانب الجسمي، والعقلي، والروحي،

---

[1] _ ينظر : فوزية الراوي : الإعجاز التربوي (47-54)، عائشة بخيري : الإعجاز التربوي في القصص القرآني (21)

[2] _ ينظر : سعيد إسماعيل القاضي : التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة (43).

والنفسي، والاجتماعي"[1].

3/–الثبات والمرونة :

تتميز التوجيهات النبوية بالثبات والمرونة في وقت واحد، الأمر الذي جعلها صالحة لكل زمان ومكان، أما الثبات فنجده جليا في الأهداف والأسس والقيم، فهذه ثابتة راسخة لا يمكن تغيرها أو تبديلها كوجوب أداء الأمانات إلى أهلها، وتحريم الغش والسرقة والربا.

وأما المرونة فتتجلى في الوسائل والأساليب، إذا لم تحدد السنة النبوية وسائل خاصة للتربية لا يمكن تجاوزها، بل تركت المجال مفتوحا لكل مرب أن يختار مالا يتعارض مع المنهج العام مما يستجد من وسائل تربوية، وإن كان في السنة إشارات إلى كثير منها.

هذه الخاصية– الثبات والمرونة– تعرف عند التربويين اليوم بالأصالة والتجدد وهو واحد من أهداف فلسفة التربية، فالأصالة تمسك بخير ما في الماضي حفاظا على الهوية، والتجديد تغيير للحاضر نحو الأفضل استشرافا للمستقبل[2].

4/–التوازن:

من خصائص التربية في السنة النبوية أنها ملائمة للفطرة الإنسانية، فهي تهتم بتربية جميع جوانب الإنسان الخلقية والجسمية والعقلية وتحقق التوازن بين مطالب الإنسان الجسدية والروحية، فلا يطغى جانب على آخر، بحيث تجعل الإنسان في صراع نفسي، وعناء داخلي وكبت لغرائزه، فعندما حذر الله على لسان نبيه الإنسان من الرذائل، أمره بالفضائل، وشرع وبين له السبل والطرق لإقامة التوازن.

عن أبي سلمه، قال: حدثني عبد الله بن عمر وبن العاص، قال: "كنت أصوم الدهر، وأقرأ القرآن كل ليلة، فإما ذكرت للنبي –ﷺ–، وإما أرسل إليّ فأتيته، فقال:[**ألم أخبر أنك تصوم الدهر، وتقرأ القرآن كل ليلة؟!**]، فقلت: بلى يا رسول الله، ولم أر في ذلك إلا الخير، قال:[**فإن كان كذلك، –أو قال: كذلك– فحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام**]، قلت: يا نبي الله ! إني أطيق أفضل من ذلك، قال:[**فإن لزوجك عليك حقا، ولزوارك عليك حقا، ولجسدك عليك حقا**، قال: **فصم صوم داود نبي الله، فإنه كان أعبد الناس**]، قال: فقلت يا نبي الله–

---

[1] _ أساليب التعلم والتعليم في الإسلام (69).

[2] _ ينظر : فوزية الراوي : الإعجاز التربوي (59).

وما صوم داود؟ قال:[**كان يصوم يوما ويفطر يوما**، قال: **واقرأ القرآن في كل شهر**]، قال: فقلت يا نبي الله ! إني أطيق أفضل من ذلك، قال:[**فاقرأه في كل عشرين**]، قال: قلت: يا نبي الله ! إني أطيق أفضل من ذلك، قال:[**فاقرأه في سبع، ولا تزد على ذلك، فإن لزوجك عليك حقا، ولزوارك عليك حقا، ولجسدك عليك حقا**]، قال فشددت فشدد (الله) علي، قال: وقال لي النبي -ﷺ-:[**إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر**][1].

وفي هذا التوجيه النبوي تحقيق للتوازن بين مطالب الجسد والروح، والتوازن بين حق الله وحق الأهل، وحق الضيف وحق النفس، وهكذا في كل التوجيهات نلحظ تلك السمة بارزة، الأمر الذي لا يدع مجالا للفرد أن يحيد عن الفضيلة الخلقية ليقترف رذيلة، أو سلك طريقا معوجا ليشبع حاجة من حاجاته.

ويتحقق التوازن بتحقيق الوسطية والاعتدال ومن ثم الوصول إلى الشخصية المتزنة، هذه الأخيرة التي تسعى لإيجادها الفلسفات التربوية اليوم، مقرة بأن لا سبيل إلى ذلك إلا بتفعيل هذه الخاصية على مستوى المضامين والأهداف التربوية، وقد تأخروا كثيرا في الوصول إلى هذه الحقيقة مع عجز كل المناهج التربوية البشرية عن وضع منهج متوازن معتدل[2].

5/-الواقعية:

فالتربية النبوية تنطلق من منهج واقعي تتضح ملامحه من خلال الحقائق الموضوعية المتوافقة مع الفطرة البشرية ومع القدرات الإنسانية، لا مع تصورات عقلية مجردة، ولا على مثاليات لا مكان لها في حياة الإنسان، ولا تعني الواقعية قبول الواقع على علاته، والخضوع له على ما فيه.

والخطاب النبوي واقعيّ أي أنه ليس ضربا من الخيال، أو لونا من الآمال التي لا يمكن تحقيقها، ومن هذا المنطلق كان النبي -ﷺ- يوجه أصحابه، كما في قصة حنظلة -رضي الله عنه- عندما قدم على رسول الله -ﷺ-، قال:" نافق حنظلة يا رسول الله، قال:[**وما ذاك**]قلت: يا رسول الله نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرا، فقال رسول الله ﷺ:[**والذي نفسي بيده، لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا**

---

[1] _ البخاري: الصحيح، ك: الصيام، ب: حق الضيف في الصوم، ح(1873)، مسلم: الصحيح، ك: الصيام،ح(2787)

[2] _ ينظر : الحازمي : أصول التربية (49، 50)، فوزية الراوي : الإعجاز التربوي (61، 62).

حنظله، ساعة وساعة] ثلاث مرات"[1].

هذه الواقعية التي يطالب بها التربويون اليوم خاصة في أهداف مناهج التعليم، فيؤكدون على ضرورة مراعاة اختلاف الأفراد فيما بينهم من حيث خصائصهم النمائية، وقدراتهم واستعداداتهم، خاصة في اختيار الأسلوب والمحتوى الذي يتناسب وإمكانات المتلقي العقلية والجسدية والنفسية، ذلك أن المفاهيم والأفكار والآراء والقواعد والمبادئ التي يتضمنها المنهاج التربوي عامة والتعليمي خاصة إنما تختار في ضوء حاجات المخاطبين وخصائصهم، وإلا فإن ذلك سيؤدي إلى الحصول على مناهج غريبة.

وهم بهذا يقرون بسلامة المنهج التربوي النبوي الذي أخذ ضمنا بكل هذه الاعتبارات والحقائق منذ ما ينيف عن أربعة عشر قرنا[2].

6/- الإيجابية:

تنبثق الإيجابية في المنهج الإسلامي من خلال شعور الإنسان بكرامته ومكانته في هذه الحياة وفي هذا الكون، وأن الله استعمره في الأرض، أي طلب منه أن يعمر الأرض بالحق والعدل والحضارة.

من هنا جاءت التوجيهات النبوية لتبصر الفرد المسلم بمسؤوليته اتجاه نفسه، والواقع الذي يعيش فيه، وتدفعه لأن يكون عنصرا فعالا في حياته، إيجابيا في حركته، وأعماله، نافعا لغيره ولأمته، حتى يستطيع النهوض بالوظيفة التي أنيطت به[3].

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- "أن رسول الله- ﷺ- وقف على أناس جلوس فقال:[**ألا أخبركم بخيركم من شركم؟]**. قال: فسكتوا، فقال ذلك ثلاث مرات، فقال رجل: بلى يا رسول الله أخبرنا بخيرنا من شرنا، قال:[**خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره]**"[4].

وقال -ﷺ- :[**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**][5].

---

[1] _ مسلم: الصحيح، ك: التوبة، ح(7142).

[2] _ ينظر : الحازمي : أصول التربية (52)، فوزية الراوي : الإعجاز التربوي (66 ،69).

[3] _ ينظر : ملامح الخطاب التربوي (21، 22).

[4] _ الترمذي: الجامع : ك: الفتن، ب: ما جاء في النهي عن نسب الرياح، ح (2189) وقال: "حسن صحيح".

[5] _ البخاري : الصحيح: ك: فضائل القرآن، ب: خيركم من تعلم القرآن..(4739).

وقد وفقت التربية النبوية لإيجاد ذلك الفرد الإيجابي في مجتمعه، والإيجابي في أمته، والنافع للبشرية جمعاء، بما أنتجته من جيل شهد التاريخ بتفرده على كل المستويات، الغاية الذي تسعى لتحقيقها الفلسفات التربوية البشرية، ولا تجد إليها سبيلا.

7/-الاستمرارية:

من شأن المؤسسات التربوية المعاصرة التخلي عن واجب التربية والتعليم عند حد معين يبلغه المتعلم، أو تقلص دورها عند ذلك الحد، ولذلك كان تأثيرها آنيا.

أما المجالس النبوية فقد كانت للتربية المنبثة فيها أثر سلوكي دائم مع روادها لا يحده مكان، ولا زمان، ولا عمر...إلخ، فقد كان -ﷺ- يتعهد أصحابه باستمرار التعليم و التربية وتزكية النفوس، ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والوفاء.... ويحثهم على مكارم الأخلاق، ويذكرهم بالله[1].

ومن النماذج الدالة على ذلك حرصه -ﷺ- على تعليم الصحابة في مختلف الظروف والأحوال في المسجد –البيت –السوق- الشارع- وكان يستغل الأوقات المناسبة لذلك، كما كان من عادته -ﷺ- عدم إرهاق أصحابه بالتعليم المركز، فقد عن روى ابن مسعود أنه قال:" كان النبي -ﷺ- يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة والملل"[2].

كما كان النبي- ﷺ- يحرص على إكساب الصحابة -رضي الله عنهم- الآداب الإسلامية فقد كان يوصيهم بأن يراعوا آداب الجلوس على الطريق، قال -ﷺ-:"[**إياكم والجلوس في الطرقات**]، فقالوا: يا رسول الله مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها، فقال: [**إذا أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه**] قالوا: وماحق الطريق يا رسول الله؟ قال:[**غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**]"[3].

كما كان -ﷺ- يحرص على تعديل سلوك الناس حتى في السوق، فعن أبي هريرة "أن رسول الله-ﷺ- مر على صبره طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا، فقال: [**ما هذا يا صاحب الطعام؟**] قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: [**أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه**

---

(1) _ ينظر : مصطفى رجب: الإعجاز التربوي في القرآن والسنة (132 ،133).

(2) _ البخاري: الصحيح: ك: الدعوات، ب: الموعظة ساعة بعد ساعة، ح(6048).
مسلم : الصحيح : ك : صفة القيامة...ح(7305).

(3) _ البخاري: الصحيح: ك: المظالم، ب: أفنية الدور...ح(2333).
مسلم : الصحيح : ك : اللباس والزينة، ح(5685).

الناس، من غش فليس مني] "[1].

وهكذا كانت ممارسات الرسول -ﷺ- التربوية تعبر عن المفهوم الحديث للتربية المستمرة والتي تعني أنها :" العملية المستمرة اللازمة لتنمية الفرد طوال حياته، سواء بالطرائق المباشرة أو غير المباشرة وسواء بالتعليم النظامي أو غير النظامي، في جميع مراحل العمر".

وهكذا يكون للتربية الإسلامية خاصة والتربية النبوية عامة قدم السبق في هذا، قال صاحب التربية الدينية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة:" نعني بالاستمرارية أن يظل الإنسان طالب علم طيلة حياته، وأن يظل متشوقا إليه باحثا عنه باستمرار، وقد سبق الإسلام بهذا التربية الحديثة التي يزعم كثير من المشتغلين بها أن فكرة التربية المستمرة، أو التربية مدى الحياة من مبتكرات التربية الحديثة"[2].

8/التدرج:

ليست التربية عملية تحول مفاجئ في سلوك الإنسان وإنما هي عملية تحول تدريجي، يعتمد على التدرج في التوجيه شيئا فشيئا، حتى تؤتي التربية ثمارها المرجوة.

ويعتبر التدرج في التربية معلما مهما من معالم التربية النبوية، تجلى ذلك بوضوح في توجيهه -ﷺ - لمعاذ بن جبل -رضي الله عنه- حين أرسله إلى اليمن، وقد حدد له المنهج الدعوي التربوي الذي يجب أن يسير عليه، حيث قال له:[**إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب]** [3].

وفي هذا الحديث إرشاد من النبي-ﷺ- للدعاة إلى الله بالتدرج والبدء بالأهم فالمهم، فالدعوة تكون بترسيخ الإيمان بالله تعالى ورسوله إيمانا يثبت في القلوب ويهيمن على الأفكار والسلوك، ثم تكون الدعوة بعد ذلك إلى تطبيق الأركان الإسلامية العملية التي ترسخ هذا الإيمان وتنميه، ثم يأتي بعد ذلك الأمر بالواجبات والنهي عن المحرمات، فيتقبل الناس تكاليف الإسلام التي قد تكون مخالفة لهوى النفس، لأن قلوبهم قد عمرت بالإيمان واليقين قبل ذلك، إن رسول الله

---

[1] _ مسلم : الصحيح : ك : الإيمان، ح(295).

[2] _ فتحي يونس :(54).

[3] _ البخاري: الصحيح: ك : الزكاة ب: أخذ الصدقة..، ح(1401).

-ﷺ- لم يكلف الناس فجأة بالدين كله، سواء في العقيدة أو في الشريعة، بل بدأ بالأهم فالأهم، وتدرج معهم في تفصيل العقائد والأحكام طوال فترة البعثة على أساس ترتيب الأولويات، فاعتمد على تثبيت العقيدة أولا، ثم تدرج معهم إلى تبيان القيم الدينية والأحكام العامة التي نزلت على الأنبياء السابقين، ثم تدرج معهم إلى التكليف بالأوامر والنواهي، وقدم في كل ذلك الضروريات الخمس، وهي المحافظة على الدين، والنفس، والعقل،
والنسل، والمال، وقد تجلى التدرج أيضا في سيرة النبي-ﷺ- العطرة من خلال أدوار الدعوة ومراحلها[1].

وقد أشارت إلى هذا التدرج والحكمة منه عائشة -رضي الله عنها-" إذ جاءها عراقي، فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك وما يضرك؟ قال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك، قالت: لم ؟قال: لعلِّي أولف القرآن عليه فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيُّه قرأت قبل، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لاتزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا، لقد نزل بمكة على محمد -ﷺ- وإني لجارية ألعب ﴿**بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر**﴾ وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال : فأخرجت له المصحف فأملت

---

[1] _ فيمكن تقسيم عهد الدعوة المحمدية إلى دورين يمتاز أحدهما عن الآخر تمام الامتياز وهما:

1-الدور المكي، ثلاث عشرة سنة تقريبا. 2- الدور المدني، عشر سنوات كاملة.

ثم يشتمل كل من الدورين على مراحل لكل منها خصائص تمتاز بها عن غيرها، ويظهر ذلك جليا بعد النظر الدقيق في الظروف التي مرت بها الدعوة خلال الدورين. ويمكن تقسيم الدور المكي إلى ثلاث مراحل:

1-مرحلة الدعوة السرية، ثلاث سنوات.

2-مرحلة إعلان الدعوة في أهل مكة، من بداية السنة الرابعة من النبوة إلى أواخر السنة العاشرة.

3-مرحلة الدعوة خارج مكة، من أواخر السنة العاشرة من النبوة إلى هجرته ﷺ إلى المدينة.

أما مراحل الدور المدني:

1-مرحلة أثيرت فيها القلاقل والفتن، وأقيمت فيها العراقيل من الداخل وزحف فيها الأعداء إلى المدينة لاستئصال خضرائها من الخارج، وهذه المرحلة تنتهي إلى صلح الحديبية في ذي القعدة سنة 6 من الهجرة.

2-مرحلة الهدنة مع الزعامة الوثنية، وتنتهي بفتح مكة، في رمضان سنة ثمان من الهجرة، وهي مرحلة دعوة الملوك إلى الإسلام.

3-مرحلة دخول الناس في دين الله أفواجا، وهي مرحلة توافد القبائل والأقوام إلى المدينة، وهذه المرحلة تمتد إلى انتهاء حياة الرسول -ﷺ - في ربيع الأول سنة 11 من الهجرة . ينظر : المباركفوري(84- 195).

عليه آي السور" [1].

هكذا باعتماد التدرج منهجا في عملية التربية تمكن النبي -ﷺ- في فترة زمنية محددة من تبليغ الدعوة ونشرها، ومكن لمبادئها من نفوس أتباعه.

- ومن متطلبات مبدأ التدرج في التربية:

1/-مراعاة نوعية العلوم، والموضوعات فيجب التركيز على أكثرها ضرورة، وأكثرها سهولة في التحصيل، "فقد بين علماء سيكولوجية التعليم وجود فروق بين الناس ليس فقط بالنسبة لمستوياتهم الفكرية والإدراكية، وإنما أيضا بالنسبة لقدراتهم النوعية في التحصيل" .

2/-مراعاة أفضل الأساليب التربوية في المخاطبة، والتلقين فأسلوب التخاطب للعقول الكبيرة الراشدة البسيطة يختلف عنه بالنسبة لغير الواعية[2].

القسم الثاني : أساليب التربية النبوية ووجوه الإعجاز التربوي في السنة ونماذج منه

ثالثا : من أساليب التربية النبوية.

استخدم النبي -ﷺ- مجموعة من الأساليب التربوية[3]. في توجيه الصحابة إلى تعديل وإصلاح بعض السلوكات، وتصحيح الأخطاء بما يحقق بناء متكاملا، ومتوازيا لشخصيتهم، أهمها:

1/-التربية بالقدوة: وقد كان النبي -ﷺ- القدوة الحسنة لأصحابه، ولأمته من بعده في أقواله وأفعاله وجميع سلوكاته، وحركاته وسكناته [**صلوا كما رأيتموني أصلي**].

2/- القصة.

3/- الوعظ والإرشاد: حديث العرباض بن سارية: "وعظنا رسول الله -ﷺ- يوما... موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب..."

4/- الجمع بين الترغيب والترهيب: حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال:[**سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ضل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله**

---

[1] _ البخاري : الصحيح : ك: فضائل القرآن، ب:تأليف القرآن، ح(4707).

[2] _ ينظر : محمد الجمل : ملامح الخطاب التربوي (22، 23).

[3] _ ينظر :الحازمي : أصول التربية(233)، محمد الجمل: ملامح الخطاب التربوي (59).

ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه ورجل قلبه معلق في المسجد ورجلان تحابا في الله ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها قال: إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمنيه] [1].

فالحديث يرغب المسلمين بالالتزام الديني الصادق، ويغرس قيما إسلامية عديدة خلقية وروحية ووجدانية، إذا ما انتشرت بين الأفراد أدت إلى بناء مجتمع فاضل متماسك.

– ومن أمثلة ذلك أيضا : "أن النبي –ﷺ– دخل على شاب وهو في الموت، فقال :[كيف تجدك؟] قال : والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله –ﷺ–:[**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف]** [2].

5/–الحوار: فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– :" أن رجلا جاء إلى النبي–ﷺ– فقال: ولد لي غلام أسود، فقال:[**هل لك من إبل؟]**قال: نعم. قال: **[ما ألوانها؟]** قال: حمر.قال:[**هل فيها من أورق؟**]قال: نعم، قال:[**فأني ذلك؟]** قال: لعله نزعه عرق، قال:[**فلعل ابنك هذا نزعه**]" [3].

هكذا كان يستعمل النبي –ﷺ –أسلوب الحوار المقنع للوصول إلى أعماق القلوب والنفوس.

هذه بعض الأساليب وغيرها كثير، وقد أثبتت قدرتها على التأثير، أما غيرها من الأساليب الوضعية فمهما بلغت من التطور فإنها ستضل قاصرة تماما عما وصل إليه المنهج والأسلوب النبوي، وفي هذا يبرز وجه الإعجاز.

رابعا : وجوه الإعجاز التربوي في السنة النبوية[4].

– بناء مدرسة متميزة لم يكن لها مثيل من قبل، من حيث سمات بارزة.

– تكوين أهداف عالية وغايات سامية طموحة ومتحدية.

– بناء الروح الأخلاقية العظيمة الخيرة الدافعة إلى الخيرات، والزاجرة والرادعة عن الشرور والرذائل.

– بناء الروح الاعتقادية القوية الدافعة، والطاقة المعنوية التي لا تنفد.

---

[1] _ البخاري : الصحيح: ك : المحاربين من أهل الكفر ، ب:فضل من تلاك الفواحش، ح(6421).
مسلم : الصحيح: ك : الزكاة ، ح(2427).

[2] _ الترمذي: الجامع: ك: الجنائز ، ب: ما جاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين، ح(983)، وقال : حسن غريب.

[3] _ البخاري : الصحيح: ك : المحاربين من أهل الكفر، ب : ما جاء في التعريض، ح(6455).

[4] _ مقداد بالجن: معالم وجوه الإعجاز التربوي في القرآن والسنة.

- بناء الروح العاطفية الإيمانية القوية والجياشة.
- بناء روح الأخوة الإنسانية الإسلامية.
- بناء رجال أخيار لبناء خير أمة مؤمنة.
- تكوين رسالة الإسلام في الأجيال.

خامسا : نماذج من الإعجاز التربوي في السنة النبوية[1]:

1/نموذج من الإعجاز التربوي في القصص النبوي : قصة "قاتل المائة....التائب"

روى البخاري ومسلم بسنديهما...عن أبي سعيد الخدري-والنص لمسلم- أن نبي الله -- ﷺ قال: [**كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض. فدُلّ على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال: لا فقتله فكمّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدّل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى الأرض كذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصّف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقبله إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقالوا: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجوده أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة**].قال قتادة: فقال الحسن: **ذكر لنا[أنه لما أتاه الموت ناء بصدره]**. وفي رواية : [**أن رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا فجعل يسأل هل له من توبة؟ فأتى راهبا فسأل فقال: ليست لك توبة. فقتل الراهب، ثم جعل يسأل، ثم خرج من قرية إلى قرية فيها قوم صالحون، فلما كان في بعض الطريق أدركه الموت فناء بصدره ثم مات، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر فجعل من أهلها**] [2].

---

[1] _ مصطفى رجب : الإعجاز التربوي في القرآن و السنة (115)

[2] _ مسلم: الصحيح: ك :التوبة،ح(7185).

– المضمون التربوي[1]:

أولا: القيم التربوية :

أ– القيم الإيجابية :

1- تأنيب الضمير ظاهر صحية في حياة الناس وتمثل نوعا من الرقابة الداخلية على السلوك.

2- لابد من اللجوء إلى السلطة العلمية الدينية (أهل الذكر) للاستفتاء حول ما يواجه المرء من مشاكل

3- التمسك بالأمل له نتائج إيجابية في حياة الإنسان دائما.

4- وقوع الإنسان في الخطأ لا يعني إغلاق باب التوبة في وجهه لأن رحمة الله واسعة.

5- عجز الإنسان عن فهم القضايا الوجودية لا يعني إلا قصور عقله، ولا يعني بالضرورة عدم حدوث تلك القضايا أو استحالتها.

6- التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها زمن المعصية.

7- أفضلية العلم عن العبادة لأن المفتي الأول تغلب عليه العبادة، والثاني يغلب عليه العلم كما يتضح من النص.

ب–القيم السلبية :

1- القتل عدوانيا.

2- اليأس من رحمة الله.

3- التمادي في الخطأ (قتل الراهب).

4- الإفتاء بغير علم.

5- التكبر على المخطئ وإشعاره بالمهانة.

ثانيا: الأهداف التربوية:

أ– في المجال المعرفي:

1- أن يتذكر السامع–أو القارئ–الأحكام الشرعية التالية:

---

[1] _ العملية التربوية تقوم على مجموعة من الأهداف: أهداف معرفية (علم) ثم وجدانية (بعد العلم يكون الاعتقاد والإيمان والميل) ثم نفسحركية (بعد العلم والإيمان) يكون العمل والالتزام والسلوك، كما تقوم على التحلية (بالقيم الإيجابية) والتخلية (من القيم السلبية).

- حكم قتل النفس (القتل العمد-القتل الخطأ).
- أحكام التوبة وشروطها.
-حكم اليأس من رحمة الله.

2- أن يتذكر السامع-أو القارئ-آداب المفتي وما يجب إزاءه من احترام وحسن استماع.

3- أن يعرف السامع إذا كان من العلماء أن من آداب الإفتاء أن يكون إصدار الحكم الشرعي في إطار من الحنو والرفق بالمستفتي وإن كان مجرما، تثبيتا لمعنى الرحمة والتواد والتناصح.

4- أن يستنتج المستمع-أو القارئ- بعض أحوال الأمم السابقة.

5- أن يفهم المستمع أن هناك رقابة إلهية مستمرة على سلوكه، ويتذكر في هذا المجال الآيات القرآنية الآتية : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: الآية18]

ب- في المجال الوجداني:

1- أن يستيقظ ضمير السامع وبخاصة إذا كان مذنبا فيتذكر أخطاءه السابقة.

2- أن يشعر السامع بأن المجرم ليس مجردا دائما من الضمير بل إنه قد يرجع ويتوب.

3- أن تكون نظرة السامع إلى المذنبين واسعة، فلا يقسو عليهم حتى يتأكد من رفضهم النصح وردهم الدعوة وتكبرهم على التوبة.

4- أن يحس السامع بأن رحمة الله واسعة فتهفو نفسه إلى رضا الله ويطمع في رحمته.

5- ألا يستكثر السامع ذنوبه مهما بلغت بالقياس إلى عظمة التوبة، وسعة رحمة الرحمن الرحيم جل شأنه.

ج- في المجال النفسي/حركي:

1- أن يلجأ الإنسان إلى العلماء لسؤالهم عن كل ما يجهل حكمه من مشكلات حياته.

2- أن يتعود قبول حكم الدين بالطاعة والإذعان.

3- أن يصحح السامع عقيدته إذا كان في نفسه إزاء مثل هذه القصص شك حتى لا يخرج من الدين من غير أن يقصد ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[النساء: الآية 116]

5-أن يرجع السامع إلى المصادر الدينية الفقهية لمعرفة الأحكام التي يجهلها من قضايا:

- القتل العمد والقصاص وما يتعلق به من الدية والقصاص.

- التوبة وشروطها.
- آداب السؤال وأحكامه الفقهية (ما يجب على السائل وما يجب على المفتي)
- حكم العمل بقول المفتي واختلاف مذهبه عن مذهب السائل.

6-أن يسعى الإنسان إلى التخلص من الظروف المحيطة بالعادات السيئة التي يريد الإقلاع عنها، فهجرة الرجل من الأرض التي ارتكب فيها المعاصي (القتل) ستساعده على نسيان ماضيه واستقبال حاضره الجديد بنفسية جديدة متطهرة.

2/ نموذج من الإعجاز التربوي في أحاديث متفرقة:

- **المجموعة "أ":**

- عن عمرو بن عوف الأنصاري أن رسول الله --ﷺ قال: **[إن الدّنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعلمون فاتقوا الدُّنيا واتّقوا النساء فإنّ أول الفتنة ببني إسرائيل كانت في النساء]** [1]

- عن أنس-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: **[اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة]** [2].

-وعنه أن النبي -ﷺ- قال: **[يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قطُّ عل مرّ بك نعيم قطّ فيقول لا والله يا ربّ ويؤتى بأشدّ الناي بؤسا في الدُّنيا من أهل الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قطّ هل مرّ بك شدّة قطٌّ فيقول لا والله يا رب ما مرّ بي بؤس قطُّ ولا رأيت شدّة قطٌ]** [3].

-عن المستورد بن شداد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: **[ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه -**وأشار يحي بالسّبابة**- في اليمّ فلينظر بم ترجع]** [4].

ومعنى الحديث: "ما دنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدّتها، وفناء لذاتها ودوام والآخرة، ودوام لذاتها ونعميها، إلا كنيسة الماء الذي يعلق بالأصبع إلى باقي البحر" [5].

---

[1] _ مسلم : الصحيح : ك : الرقاق، ح(7124).

[2] _ البخاري : الصحيح: الجهاد والسير، ب: البيعة في الحرب أن لا يفروا، ح(2801).
مسلم : الصحيح: الجهاد والسير، ح(4773).

[3] _ مسلم : الصحيح: صفة القيامة، ح(7266).

[4] _ مسلم : الصحيح: الجنة وصفة نعيمها، ح(7376).

[5] _ النووي : المنهاج (192/17).

أولا: الأهداف التربوية:

أ- الأهداف المعرفية :

- أن يتدبر المسلم قوله تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا** ﴾[الكهف الآية 46].

- أن يعرف المسلم أهمية إعداد العدة للآخرة.

- أن يدرك المسلم ضرورة ألا يجعل الدنيا منتهى أمله وغايته.

- أن يعلم المسلم بأن النعيم الحقيقي هو ما أعده الله له في الآخرة.

- أن يعرف المسلم أن الدنيا دار عمل وشقاء وليس جزاء نعيم.

- أن يعرف المسلم أن ما يدخل معه في قبره عمله فقط وليس ماله ولا ولده.

- أن يدرك المسلم أنه مهما نعم في الدنيا فإنه ليس شيء بما سيجده عند الله في جنته.

- أن يعلم المسلم ضرورة تقوى الله فيما يمتلك من متاع الدنيا.

- أن يدرك المسلم أنه مهما يتقي في الدنيا من عذاب فإنه لن يكون مثل عذاب الله في النار.

- أن يعلم المسلم أن الدنيا بالنسبة للآخرة كقطرة من الماء في بحر واسع.

- أن يدرك نهي الرسول-ﷺ- عن التكالب على الدنيا.

- أن يعلم المسلم أن رزقه بيد الله وأنه لا حيلة له فيه.

ب – الأهداف الوجدانية:

- أن يحس المسلم بأهمية الإعداد للآخرة والاستعداد لها.

-أن ينفر المسلم من التصارع على الدنيا والتكالب عليها.

- أن يشعر المسلم بأن رزقه لن يأخذه غيره.

- أن يحس المسلم بعظمة جزاء الله في الآخرة.

- أن يشعر المسلم بحقارة الدنيا وضآلة قيمتها بالنسبة للآخرة.

- أن يميل المسلم نحو طاعة الله وعدم معصيته.

-أن يحب المسلم التصدق بماله وادخاره للآخرة.

- أن يخشى المسلم من سوء العاقبة.

- أن يحس المسلم بخطورة عملة إذا كان سيء وفيه وما يغضب الله.

ج – الأهداف النفس حركية:

– أن يعد المسلم العدة للآخرة ويستعد لها.

– أن يبحث المسلم عن جزاء الله في الآخرة.

– أن يطمئن المسلم على رزقه وأنه بيد الله.

–أن يعظم المسلم من جزاء الله في الآخرة.

– أن يتصدق المسلم على الفقراء والمساكين حتى يدخر من ماله لآخرته.

– أن يترك المسلم التصارع والتكالب على الدنيا.

– أن يحس المسلم عاقبته ويصلح عمله.

ثانيا: القيم التربوية.

أ– القيم الإيجابية : التي تسعى جملة هذه الأحاديث إلى غرسها في نفوس السامعين هي:

– الاستعداد للقاء الله –عز وجل–.

– ترك التصارع على الدنيا والتكالب عليها.

– الاطمئنان على رزق الله .

– إصلاح العمل والعاقبة.

– التصدق بالمال لادخاره في الآخرة.

– طاعة الله وعدم معصيته.

ب– القيم السلبية : التي يسعى الحديث إلى استئصالها من نفوس السامعين هي :

– البخل والتقتير والشح.

– التصارع والتكالب على الدنيا.

– نسيان لقاء الله.

– إهمال جزاء الله والاهتمام بالدنيا.

– عصيان الله في أوامره.

– المجموعة "ب"

– عن جابر –رضي الله عنه– "أنّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مرّ بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كنفته فمرّ بجدي أسكّ ميت، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: [**أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟**]

فقالوا : ما نحبّ أنّه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال : [**أتحبّون أنّه لكم؟**] قالوا: والله لو كان حيّا كان عيبا فيه لأنه أسكّ فكيف وهو ميت؟ فقال : [**فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**] [1] .

-وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن الرسول -ﷺ- قال رسول الله -ﷺ-:[**لو كان لي مثل أُحد ذَهبًا لسرّني أن لا تمرّ عليّ ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء إلا شيئا أرصده لدين**] [2]

-وعنه عن النبي -ﷺ- قال: [**تعس عبد الدينار والدّرهم والقطيفة والخميصة إن أُعطي رضي وإن لم يعط لم يرض**] وفي رواية : [**وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**][3] .

قوله : "وانتكس" أي عاوده المرض فعلى ما تقدم من تفسير التعس بالسقوط يكون المراد أنّه إذا قام من سقطته عاوده السقوط، ويحتمل أن يكون المعنى بـ"انتكس" بعد تعس انقلب على رأسه بعد أن سقط [4].

-وعنه -رضي الله عنه- قال :" **لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار وإمّا كساء قد ربطوا في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته** " [5].

أولا : الأهداف التربوية.

أ- الأهداف معرفية :

- يعلم المسلم بضرورة سداد الديون.
- أن يعرف المسلم أهمية التصدق من المال على فقراء والمسلمين.
- أن يدرك المسلم أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة.
- أن يعلم المسلم بنهي الرسول-ﷺ- عن النظر إلى من هم أفضل منه حتى لا يحقر من نعمة الله عليه.

---

[1] _ مسلم: الصحيح: ك : الزهد والرقاق، ح(7607).

[2] _ البخاري : الصحيح: ك : الاستقراض، ب: أداء الديون، ح(2259).

[3] _ البخاري : الصحيح: ك : الجهاد والسير، ب: الحراسة في الغزو في سبيل الله، ح(2730).

[4] _ ابن حجر : فتح الباري (254/11).

[5] _ البخاري : الصحيح: أبواب المساجد، ب: نوم الرجل في المسجد، ح(431).

- أن يدرك المسلم بهلاك عبد المال.
- أن يعرف المسلم بضرورة أن تستر الثياب عورة المسلم.
- أن يعرف المسلم بهوان الدنيا عند الله –عز وجل–.

ب– الأهداف الوجدانية:

- أن يشعر المسلم بقيمة التصدق بالمال على فقراء المسلمين.
- أن يكره المسلم الوقوع في الشرك أو الكفر.
- أن لا يقدس المسلم المال أو يحبه بصورة كبيرة.
- أن يكره المسلم البقاء في سجن الدنيا والحد من حركته.
- أن يحب المسلم ارتداء ملبس يستر عورته.
- أن يشعر المسلم بهوان الدنيا.

ج– الأهداف النفس حركية.

- أن يلتزم المسلم بسداد ديونه.
- أن يتصدق المسلم بماله على فقراء المسلمين.
- أن يبتعد المسلم عن الشرك والكفر.
- أن يرضى المسلم برزقه الذي رزقه له الله في الدنيا.
- أن يبتعد عن تقديس المال وتعظيمه.
- أن يرتدي ملابس تستر العورة.
- أن تحافظ المسلمة على حجابها .
- يعشر بهوان الدنيا عند الله.

ثانيا : القيم التربوية.

أ– القيم الإيجابية التي يسعى الحديث إلى غرسها في نفوس السامعين:

- الالتزام بسداد الديون
- التصدق بالمال وحب الزكاة على المسلمين
- الرضا بالرزق وإن كان قليلا.
- عدم النظر إلى من هم أفضل في الرزق ولكن النظر إلى من هم أقل.

- عدم التبتر على نعمة الله والتقليل من قيمتها.
- الابتعاد عن تقديس المال وتعظيمه.
- ارتداء ملابس تستر العورة.
- محافظة المسلمة على حجابها.
- الشعور بهوان الدنيا عند الله.

ب–القيم السلبية التي يسعى الحديث التي استئصالها من نفوس السامعين:

- الشرك بالله وعصيانه في أوامره.
- عدم التصدق بالمال والبخل والشح على المسلمين الاعتراض على رزق الله وعدم الرضا به.
- التبتر على نعمة الله عز وجل.
- تقديس المال وتعظيمه.
- ارتداء ملابس لا تستر العورة.

المحاضرة السابعة :

الوجه السادس : الإعجاز العلمي في السنة النبوية

القسم الأول : مفهوم الإعجاز العلمي في السنة النبوية ووجوهه وضوابطه وفوائده

أولا : مفهوم الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

وصف الإعجاز هنا بالعلمي نسبة إلى العلم الذي هو حقيقة مقطوع بها

أ- تعريف الحقيقة العلمية: الحقيقة العلمية **مركب إضافي، تعرف بتعريف جزأيها.**

تعريف الحقيقة : الحق نقيض الباطل، والشيء المتحقق وجوده، الثابت بلا شك، وأصله المطابقة والموافقة.

تعريف العلمية: هي صفة للحقيقة، والعلم نقيض الجهل، وهو إدراك الأشياء على حقيقتها.

والمقصود به- العلم- هنا العلم التجريبي، وهو الذي يعتمد في تحقيق قضاياه على التجربة من أجل الوصول إلى القوانين العلمية التي تحكم الظواهر التي تدرسها من أجل الوصول إلى النتائج، ويكون معيار الخطأ والصواب فيه هو موافقة الواقع[1].

والحقيقة العلمية في الاصطلاح هي: المفهوم الذي تجاوز المراحل الفرضية، والدراسات النظرية حتى أصبح ثابتا مجمعا عليه من قبل كافة العلماء المختصين[2].

ب – تعريف الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

الإعجاز العلمي في السنة النبوية هو إخبار النبي -ﷺ- بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول -ﷺ- مما يظهر صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى، وهو باب من أبواب الإعجاز الغيبي[3].

ثانيا: وجوه الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

وجوه كون الأحاديث التي فيها الإخبار عن الأمور الغيبية المتعلقة بأمور العلم التجريبي

---

[1] _ بازمول : الإعجاز العلمي في الحديث وقواعده (24، 25).

[2] _ عبد الله المصلح وآخرون : الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (28).

[3] _ عبد الله المصلح : الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه (28).

إعجازا تظهر فيما يأتي:

أولا: من جهة أنه إخبار النبي -ﷺ- عن غيب لا يبلغه علم البشر.

ثانيا: أن الرسول -ﷺ- أمي لا يصل إلى معرفة شيء من هذه الأمور إلا بالنقل عن غيره، هذا لو وجد من يعلمها قبله -ﷺ- ، قال تعالى: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾ [العنكبوت : 48] .

ثالثا: أن الوصول إلى بعض النتائج في العلم التجريبي يحتاج إلى وقت كثير ، وجهد كبير، ومعامل خاصة، وهذا الرسول-ﷺ- بين ظهرانيهم لا يغيب عنهم، فمن أين له هذه المعرفة بأمور الكون في الجوانب المتعددة؟.

رابعا : التوافق الدقيق الحاصل بين ما نصت عليه الأحاديث النبوية وبين وما كشفه علماء الكون من حقائق كونية وأسرار علمية[1].

ثالثا : ضوابط وخطوات البحث في الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

إن الادعاء بوجود **إعجاز علمي** لا يسلم به إلا بعد تحقق الشروط والضوابط الآتية[2]:

1/– إثبات وجود دلالة واضحة في النص تشير إلى الحقيقة الكونية المكتشفة من المتخصصين في العلوم البحتة.

2/– ثبوت تلك الحقيقة الكونية علميا بعد توفر الأدلة التي تحقق سلامة البرهنة عليها.

3/– ثبوت استحالة معرفة البشر بتلك الحقيقة الكونية وقت نزول الوحي على المصطفى-ﷺ -

4/– تحقق المطابق بين دلالة النص من كتاب الله – عز وجل- أو من سنة رسول الله-ﷺ- وبين تلك الحقيقة الكونية.

5/– إذا كان النص الذي نستنبط منه الإعجاز العلمي من السنة المطهرة، وجب أن يكون في دائرة القبول بأن يكون صحيحا أو حسنا، حيث لا تعتمد في هذا المنهج الأحاديث الواهية والموضوعة.

---

[1] _ ينظر : بازمول : الإعجاز العلمي في السنة النبوية تعريفه وقواعده (25).

[2] _ عبد الله المصلح وآخرون: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (31).

هذا على وجه الإجمال, اما على وجه التفصيل، فتتمثل في الآتي [1] :

1– اختيار الأحاديث المحتوية على إشارات إلى الكون ومكوناته وظواهره وعمليات خلقه وإفنائه واستبداله، وإلى الإنسان وخلقه الأول ومراحله الجنينية وإفنائه وبعثه، وإلى ضوابط سلوكه، وإلى ما أحل الله – تعالى – له وحرم عليه من المطعومات والمشروبات، وما أباح له من وسائل الوقاية من الأمراض والتداوي والعلاج.

2– جمع الأحاديث الواردة في الموضوع الواحد والروايات المتعددة للحديث الواحد، وعدم الاكتفاء بحديث واحد منها لأن الأحاديث يفسر بعضها بعضا .

3– معرفة درجة الحديث عند أهل العلم، واستبعاد كل الأحاديث التي ثبت بالدراسة المتأنية أنها موضوعة أو ضعيفة أو أنها من الإسرائيليات.

4– فهم الأحاديث النبوية وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية، ووفق قواعد ها وأساليب التعبير فيها، وذلك لأن النبي –ﷺ– عربي اللسان، وقد تحدث إليهم بلسانهم، على أن لا يخرج باللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية، وعند الضرورة القصوى، ومن هنا فلا يمكن إثبات الإعجاز العلمي بتأويل النص النبوي بما لا تحتمله قواعد اللغة.

5– فهم الحديث النبوي في ضوء سياقه وملابساته، وعدم التعسف أو التكلف في فهم دلالاته، أو تحميل ألفاظه ما لا تحتمله اللغة.

6– عدم تأويل الأحاديث لإثبات نظرية علمية تحتمل الشك والصواب، ولكن يجب التعامل فقط مع الحقائق العلمية الثابتة، والاقتصار على توظيفها في الاستشهاد على الإعجاز العلمي للحديث النبوي الشريف وذلك في جميع الإشارات العلمية الواردة في أحاديث رسول الله– ﷺ–.

7– عدم الدخول في التفاصيل العلمية الدقيقة التي لا تخدم قضية الإعجاز العلمي للحديث النبوي الشريف، والاكتفاء من ذلك بالقدر اللازم لإثبات وجه الإعجاز العلمي.

8– ضرورة التمييز بين محقق الدلالة العلمية للحديث النبوي الشريف والناقل لتلك الدلالة مع مراعاة التخصص الدقيق في جميع مراحل إثبات وجه الإعجاز العلمي أو ما يعرف باسم "التحقيق العلمي للنص النبوي الشريف".

---

[1] _ ينظر: عبد الله المصلح : الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه(30)، ضوابط البحث في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة :موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في الكتاب والسنة، أيمن محمد: وجوه الإعجاز في السنة(700-701)

9– عدم الخوض في القضايا الغيبية غيبيا مطلقا مما استأثر الله بعلمه؛ لأن عالم الغيب له من السنن والقوانين ما يغاير سنن وقوانين عالم الشهادة، وعلى ذلك فإن القياس بين العالمين قياس باطل، ومغالطة كبيرة ومن هنا وجب التسليم بما جاء عن عالم الغيب في كتاب الله وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله– ﷺ– دون محاولة تفسير ذلك في حدود المعارف العلمية المكتسبة.

10– التأكيد على أن ما يتوصل إليه التحقيق العلمي في فهم الدلالة لأية إشارة علمية في الحديث النبوي الشريف ليس منتهي الفهم له؛ لأن الرسول الخاتم – ﷺ– قد أوتى جوامع الكلم.

11– التسليم بأن النص النبوي الشريف وإن جاء في مقام التشبيه أو المجاز أو ضرب المثل فإنه يبقى صحيحا من الناحية العلمية في لفظه ومعناه صحة مطلقة، وإن لم تكن الحقيقة العلمية مقصودة لذاتها؛ لأنه – صلوات الله وسلامه عليه – كان موصولا بالوحي ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض.

رابعا : فوائد بحوث الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

هناك عدة فوائد لبحوث الإعجاز العلمي، يمكن تلخيصها في النقاط الآتية[1]:

1– الأثر البالغ الذي تتركه في قلوب المسلمين، والذي يترجم بزيادة اليقين عندهم لدى رؤيتهم هذه الحقائق الباهرة، لأنها وردت على لسان النبي الأمي محمد–ﷺ– ، وهكذا فإنها خير دعوة للتمسك بالقرآن والسنة والاهتداء بهما.

2– الرد العلمي الدامغ على الأفكار التي تشكك في صحة الرسالة المحمدية، حيث إن عرض تلك الحقائق التي أخبر عنها نبي أمي في زمن يعمه الجهل بالعلوم البحتة، خاصة منها الكونية، لأجل ذلك فهذا الوجه من وجوه الإعجاز يعد مجالا خصبا لإقناع المنصفين من العلماء بربانية القرآن الكريم، وصدق رسول الله –ﷺ– .

3– الرد العلمي المقترن بالبرهان الساطع على أن الدين الإسلامي هو دين العلم حقا، فمع إشادة الرسول –ﷺ– بالعلم ، وترغيبه في تحصيله، وتنويهه بفضل العلماء، قد ذكر كثيرا من الدلالات العلمية وأشار إلى كثير من الأسرار الكونية.

4– أن الإعجاز العلمي سواء في القرآن أو في السنة يمثل شاهدا إضافيا على صدق رسول الله–ﷺ–

---

[1] _ عبد الله المصلح وآخرون : الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (35).

5– أن الإعجاز العلمي أحد وسائل الدعوة إلى الله، ذلك أن معاينة كثيرا ممن كانوا نصارى أو بوذيين أو يهود على حقائق ولطائف منه كان سببا في اعتناقهم الإسلام.

القسم الثاني: مجالات الإعجاز العلمي في السنة النبوية و نماذج منه.

خامسا : مجالات الإعجاز العلمي في السنة النبوية .

- الإعجاز العلمي في علوم الحياة
- الإعجاز العلمي في علم الأجنة.
- الإعجاز العلمي في علم الحيوان.
- الإعجاز العلمي في علم الأرصاد والفلك.
- الإعجاز العلمي في علوم الأرض.
- الإعجاز العلمي في علوم البحار.
- الإعجاز العلمي في الطب الوقائي.
- الإعجاز العلمي في الأطعمة والأشربة.
- الإعجاز العلمي في الغذاء والتداوي.

سادسا : نماذج من الإعجاز العلمي في السنة النبوية[1].

1– النموذج الأول :

– عن أبي بردة عن أبيه قال :"صلينا المغرب مع رسول الله –ﷺ–، ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال فجلسنا، فخرج علينا، **فقال :[ما زلتم هاهنا؟]** قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء، **قال:[أحسنتم أو أصبتم]** قال: فرفع رأسه إلى السماء –وكان كثيرا مما يرفع رأسه إلى السماء–، فقال:[**النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون**

[1] _ صالح رضا : الإعجاز العلمي، أيمن محمد : وجوه الإعجاز، عبد الله المصلح وآخرون: الإعجاز العلمي، الإعجاز العلمي –موقع ويكيبيديا–.

وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون]" [1].

قال النووي : " ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت وقوله -ﷺ- : [**وأنا أمنة لأصحابي** ...] أي : من الفتن والحروب، وارتداد من ارتد من الأعراب، واختلاف القلوب، ونحو ذلك مما أنذر به صريحا، وقد وقع كل ذلك. قوله -ﷺ- :[**وأصحابي أمنة لامتي** ...] معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة، وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته -ﷺ-"[2]

في هذا الحديث الشريف حقيقة علمية أثبتها العلم الحديث، ألا وهي ذهاب النجوم وانكدارها وطمسها، ثم انفجارها وزوالها بتحوُّلها إلى دُخان السماء.

فالنجوم السماوية ونظرًا لضخامة كتلها فإنها تُهيمن بقوى جذبها على كل ما يدور في فلكها من كواكب، وكويكبات، وأقمار، ومذنبات، وغير ذلك من صور المادة، والنجوم ترتبط فيما بينها بالجاذبية، وتتجمَّع في وحدات كونية أكبر فأكبر، مرتبطة فيما بينها بالجاذبية أيضًا، فإذا انفرط عقد هذه القوى انهارت النجوم، وانهارت السماء الدنيا بانهيارها، وانهار الكون كله بانهيار السماء الدنيا، وهنا تتضح روعة التعبير النبوي الشريف: [**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ...**].

وهذا الحديث الشريف إعجاز علمي واضح، فمَنْ أخبر رسول الله -ﷺ- بسرٍّ غريب كهذا من أسرار نشأة الكون وتوازنه؟ وكيف عرف محمد -ﷺ -الأميُّ، الذي يعيش في أُمَّة جاهلة لم يقم للعلم فيها راية هذه الحقيقة العلمية الخالدة.

2- النموذج الثاني :

- عن أبي هريرة أن رسول الله -ﷺ- قال:[**لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجا**

---

[1] _ مسلم : الصحيح ، ك: فضائل الصحابة، ح(6629).

[2] _ المنهاج : (16/ 83).

وأنهارا][1].

وهذا الحديث الشريف من المعجزات العلمية التي تصف حقيقةً كونيةً لم يدركْها العلماء إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، حين ثبت لهم بأدلة قاطعة أن جزيرة العرب كانت في القديم مروجًا وأنهارًا، كما تشير الدراسات المناخية إلى أن تلك الصحراء القاحلة في طريقها الن للعودة مروجًا وأنهاراً مرة أخرى، وذلك لأن كوكب الأرض يمرّ – في تاريخه الطويل – بدوراتٍ مناخيةٍ مُتقلِّبةٍ تتم على مراحل زمنيةٍ طويلةٍ ومتدرجةٍ ، كما قد تكون فجائيةً ومتسارعةً، فعلى سبيل المثال أدرك علماء الأرض منذُ قرنٍ ونصف تقريبًا أن أرضنا قد مرَّت بعددٍ من دورات زحف الجليد على اليابسة، تعرف باسم " الدورات الجليدية "، حيث تتحول كمية من مياه البحار إلى ثلوج، وتتجمع في أحد قطبي الأرض، أو فيهما معا، ثم تبدأ بالزحف في اتجاه خط الاستواء، وقد ينحسر الزحف في الدورة الواحدة عدة مرات، وفي أثناء هذا الزحف الجليدي على اليابسة تتحول مناطق معينة في خطوط الطول والعرض العليا إلى مناطق جليدية تنعدم فيها الحياة، بينما يتغير الطقس في مناطق أخرى، فتتحول إلى مناطق أمطار غزيرة بسبب التغير الحاصل في المناخ، ومن هذه المناطق ما حدث في بلاد العرب؛ فقد ثبت بالدراسة أن جزيرة العرب قد مرت خلال الثلاثين ألف سنة الماضية بفترات ممطرة، كسيت خلالها بالمروج الخضراء، وتدفقت فيها الأنهار بالمياه الجارية، وتحولت المنخفضات إلى بحيرات، وحتى صحراء الربع الخالي، والتي تعتبر اليوم واحدةً من أكثر أجزاء الأرض جفافاً، ثَبُتَ أنّ بها أعدادًا من البحيرات الجافّة، والمجاري المائية القديمة المدفونة تحت رمالها، وأنّ تلك البحيرات والمجاري المائية كانت زاخرةً بالحياة، ومتدفقةً بالمياه إلى زمن قوم عاد ، الذين أقاموا في جنوب الجزيرة العربية حضارةً ماديّةً لم يكن يدانيها في ازدهارها الماديّ حضارةٌ أخرى في زمانها، وقد حكى لنا القرآن الكريم شيئا من أخبارهم، فيما ذكره تعالى من قول نبي الله هود–عليه السلام– وهو يدعو قومه عادا الذين كانوا يسكنون في الجنوب من أرض العرب، حيث قال لهم : ﴿ **وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ، أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ، وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** ﴾ [الشعراء :132–134].

ونحن اليوم نعيش في نهاية آخر دورة من دورات هذا الانحسار الجليديّ، ويبشّر العلماء ببداية دورةٍ جليدية جديدة قريبًا إن شاء الله, وقد بدأت شواهد هذا بالفعل، حيث تشير

[1] _ مسلم : الصحيح، ك : الزكاة، ح(2386).

الدراسات المناخية إلى أنّنا مُقدِمون على فترةٍ مطيرةٍ جديدةٍ، شواهدُها بداياتُ زحف للجليد في نصف الكرة الشماليّ باتجاه الجنوب، وانخفاضٌ ملحوظٌ في درجات حرارة فصل الشتاء، ولولا التزايدُ المطَّرد في معدلات التلوث البيئيّ التي تُزيد من ظاهرة الاحتباس الحراريّ، لشاهدْنا زحف الجليد على كلٍّ من أمريكا الشمالية وأوروبا وسيا في زماننا الراهن، مما يؤكد عودة هذه الصحراء القاحلة مروجا وأنهارا مرة أخرى

هذه الحقائق لم يتوصَّلْ الإنسان إلى معرفتها إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، وقد أشار إليها المصطفى – ﷺ– قبل ذلك بقرون متطاولة وأزمان متباعدة في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أنه – ﷺ– قال : [**تعود جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا...**].

والعود في الأصل هو: رجوع الشيء إلى ما كان عليه سابقا، وعلى هذا يكون المعنى أن أرض العرب كانت مروجا وأنهارا، وأنها بعد فترة من الزمن ستعود مرة ثانية وتجري فيها الأنهار، وتمتلئ بالمروج الخضراء التي تغطي أرضها.

فهذا الحديث احتوى على حقيقتين علميتين تتعلقان بأرض العرب:

إحداهما : أن أرض العرب كانت أرضا خصبة، وهي حقيقة أكدها القرآن الكريم كما ذكرنا..

الحقيقة الثانية : أن أرض العرب ستعود أرضا خصبة ذات مروج وأنهار كما كانت قبل ذلك.

3– النموذج الثالث :

– عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال : قال رسول الله– ﷺ–:[**ما بين النفختين أربعون قال أربعون يوما قال أبيت قال أربعون شهرا قال أبيت قال أربعون سنة قال أبيت** قال : **ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة**][1]

– عن أبي هريرة أن رسول الله –ﷺ– قال :[**كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب**] [2].

---

[1] _ البخاري : الصحيح: ك: التفسير، ب: سورة الزمر، ح(4536).

مسلم : الصحيح: ك: الفتن وأشراط الساعة، ح(7603).

[2] _ مسلم : الصحيح: ك: الفتن وأشراط الساعة، ح(7604).

تحتوي هذه الأحاديث النبوية الشريفة على حقيقة علمية لم تتوصل العلوم المكتسبة إلى معرفتها إلا منذ سنوات قليلة، حين أثبت المتخصصون في علم الأجنة –كما أشار الدكتور محمد علي البار في بحث مستفيض– أن جسد الإنسان ينشأ من شريط دقيق للغاية يسمى باسم الشريم الأول الذي يتخلق بقدرة الخالق سبحانه و تعالى في اليوم الخامس عشر من تلقيح البويضة و انغراسها في جدار الرحم وإثر ظهوره يتشكل الجنين بكل طبقاته و خاصة الجهاز العصبي وبدايات تكون العمود الفقري و باقي أعضاء الجسم لان هذا الشريط الدقيق قد أعطاه الله تعالى على تحفيز الخلايا على الانقسام و التخصص و التمايز و التجمع في انسجة متخصصة و أعضاء متكاملة في تعاونها على القيام بكافة وظائف الجسد.

وثبت أن هذا الشريط الأول يندثر فيما عدا جزء يسير منه (أصل العصعص) يبقى في نهاية العمود الفقري (أو الفقرة المعروفة باسم العصعص) و هو المقصود بعجب الذنب (و جمعه أعجاب) في أحاديث رسول الله –ﷺ–.

وإذا مات الإنسان يبلى جسده كله إلا عجب الذنب الذي تذكر أحاديث الرسول –ﷺ– أن الإنسان يعاد خلقه منه بنزول مطر خاص من السماء ينزله ربنا تبارك و تعالى وقت ان يشاء فينبت الانسان من عجب ذنبه كما تنبت البذرة من بذرتها.

وقد أثبتت مجموعة من علماء الصين في عدد من التجارب المختبرية استحالة إفناء عجب الذنب (نهاية العصعص) كيميائياً بالإذابة في أقوى الأحماض أو فيزيائياً بالحرق أو بالسحق أو بالتعرض للإشعاعات المختلفة مما يؤكد صدق حديث المصطفى –ﷺ– الذي يعتبر معجزة علمية سابقة لكافة العلوم المكتسبة بألف و أربعمائة سنة على الأقل.

4– النموذج الرابع :

– روى الإمام مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة –رضي الله تعالى عنها– أن رسول الله –ﷺ– قال :[**إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين و ثلاث مائة مفصل فمن كبر الله و حمد الله و سبح الله و استغفر الله و عزل حجراً من طريق الناس أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس و أمر بالمعروف و نهى عن منكر عدد تلك الستين و الثلاث مائة السلامى**

فإنه يمشي يومئذ و قد زحزح عن النار][1].

- و في رواية البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال:[**كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة و تعين الرجل على دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة و الكلمة الطيبة صدقة و بكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة و تميط الأذى عن الطريق صدقة**] [2].

- وروى أبو داوود في سننه عن بريدة أن النبي -ﷺ- قال:"[**في الإنسان ثلاث مائة و ستون مفصلاً فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة**] قالوا : و من يطيق ذلك يا نبي الله ؟ قال : [**النخاعة في المسجد تدفنها و الشيء تنحيه عن الطريق فإذا لم تجد فركعتا الضحى تجزئك**]" [3].

السلامي: المفصل و هي اسم للواحد و الجمع و قيل أنها في الأصل تعني عظام الأصابع و سائر الكف ثم استعملت للتعبير عن جميع عظام البدن و مفاصل تلك العظام و المفاصل هي مواضع التقاء العظام بعضها مع بعض و أغلب هذه المفاصل متحرك و لكن بعضها ثابت كمفاصل الجمجمة.

واضح من حديث الرسول -ﷺ- أن المقصود من بالسلامي هي المفاصل التي يمكن لعظام الجسم أن تتحرك عبرها و من معني الحديث الشريف أن على المسلم أن يقدم الشكر لله تعالى على ما وهبه من هيكل عظمي منتصب مستقيم ميزه الله تعالى به عم جميع الخلائق كونه من عدد هائل من الغضاريف و العظام، و جعل بين كل عظمتين منها مفصلاً يتيح لهذا العدد الهائل من العظام حماية الأجزاء اللينة من جسم الإنسان، و دعمه و أعطاه قدرا من مرونة الحركة تسمح للإنسان بالجلوس و النوم، و غير ذلك من الحركات التي مكنه الله تعالى منها.

و الأمر المعجزة في هذا الحديث أن يذكر المصطفى -ﷺ- عدد مفاصل جسم الإنسان بهذا التحديد الدقيق (ثلاثمائة و ستون مفصلاً) في زمن لم يكن متوفرا فيه للإنسان أدنى علم بالتشريح

---

[1] _ مسلم : الصحيح: ك: الزكاة، ح(2377).

[2] _ البخاري : الصحيح: ك: الجهاد والسير، ب: من أخذ بالركاب وغيره، ح(2827).
مسلم : الصحيح: ك: الزكاة، ح(2382).

[3] _ أبو داود : السنن: ك: الآداب، ب: في إماطة الأذى عن الطريق، ح(5244).

أو عدد عظام الهيكل العظمي و عدد المفاصل.

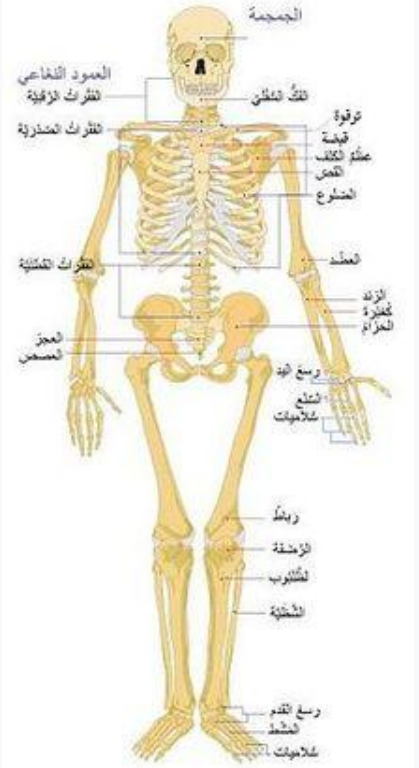

منظر أمامي للهيكل العظمي

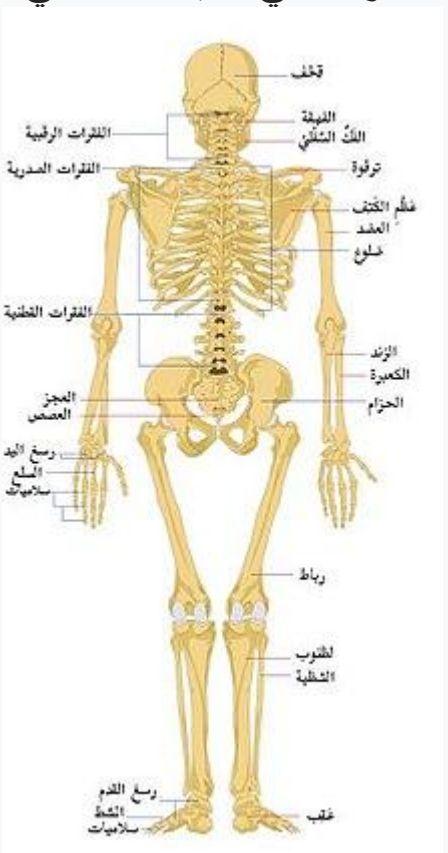

منظر خلفي للهيكل العظمي

كما ان عددا كبيرا من أساتذة الطب في مطلع القرن الحادي و العشرين لا تعرف بالضبط عدد المفاصل في جسم الإنسان كما أن عددا كبيرا من الدوائر العلمية تهرب بوضوح من تحديد عدد العظام و الفواصل في الهيكل العظمي للإنسان و تضعها في مجموعات كبيرة كما فعلت دائرة المعارف البريطانية التي جمعت عظام و فواصل هيكل الإنسان في مجموعات ثلاث دون تحديد هي:

1. – الهيكل المحوري و يشمل العمود الفقري و معظم الجمجمة
2. – الهيكل الأحشائي و يشمل القفص الصدري و الفك السفلي و بعض أجزاء الفك العلوي
3. – الهيكل الطرفي : و يشمل عظام الحوض و أحزمة الأكتاف و عظام و غضاريف الأطراف

و لكن الدكتور حامد احمد حامد ذكر في كتابه المعنون : "رحلة الإيمان في جسم الإنسان" أن المجموع الكلي للمفاصل في جسم الإنسان هو بالضبط ثلاثمائة و ستون مفصلا كما قرر رسول الله –ﷺ – و فصلها كالآتي :

أولاً : بالعمود الفقري 147 مفصلا منها:

1. 25 مفصلا بين الفقرات
2. 72 مفصلا بين الفقرات و الأضلاع.
3. 50 مفصلا بين الفقرات عن طريق اللقيمات الجانبية

ثانياً : بالصدر 24 مفصلاً منها :

1. 2 مفصلا بين عظمتي القص و القفص الصدري
2. 18 مفصلا بين القص و الضلوع
3. 2 مفصل بين الترقوة و لوحي الكتف
4. 2 مفصل بين لوحي الكتف و الصدر

ثالثاً : بالطرف العلوي 86 مفصلاً منها:

1. 2 مفصل بين عظام الكتفين
2. 6 مفاصل بين عظام الكوعين
3. 8 مفاصل بين عظام الرسغين
4. 70 مفصلا بين عظام اليدين

رابعاً : بالطرف السفلي 88 مفصلاً منها:

1. 2 مفصل للفخذين

6.2 مفاصل بين عظام الركبتين

6.3 مفاصل بين عظام الكاحلين

74.4 مفصلا بين عظام القدمين

خامساً : بالحوض 15 مفصلاً منها:

4.1 مفاصل بين عظام الركبة

4.2 مفاصل بين فقرات العصعص

6.3 مفاصل بين عظام الحق

1.4 مفصل الإرفاق العاني

المجموع : 360 مفصلاً

هذه هي المفاصل المتحركة التي تعطي الهيكل العظمي القدرة على الحركة بمرونة أما الفواصل الثابتة لتلك الموجودة بين عظام الجمجمة فلا تدخل في عداد السلامي و هي المفاصل التي تتم عبرها الحركة و تعرف باسم "المفاصل الزليلية" لاحتوائها على سوائل تعين على انزلاق العظام دون ارتطام بعضها ببعض و يعرف باسم "السائل الزليلي"

ولولا الفواصل التي وهبها الله -ﷻ- للإنسان لما تحرك الهيكل العظمي بصورته المرنة لذلك أوصانا رسول الله -ﷺ- بضرورة شكر الله تعالى كل يوم تطلع فيه الشمس عليه بعدد هذه السلامي في جسده.

5- النموذج الخامس:

- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : أن رسول الله -ﷺ- قال: [**إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا**] [1].

- عن أَبُو هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-:قَ ◌َالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- :[**طُهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِيهِ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ**] [2].

---

[1] _ البخاري : الصحيح: ك: الوضوء ، ب : الماء الذي يغسل هـ شعر الإنسان، ح(170).
مسلم : الصحيح: ك: الطهارة ، ح(676).

[2] _ مسلم : الصحيح: ك: الطهارة ، ح(678).

– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– :[**إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيُرِقْهُ ثُمَّ لْيَغْسِلْهُ سَبْعَ مِرَارٍ**][1].

– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– :[**طُهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أُولاَهُنَّ بِالتُّرَابِ**][2].

– عَنِ ابْنِ الْمُغَفَّلِ –رضي الله عنه– قَالَ : قالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–:[**إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي الإِنَاءِ فَاغْسِلُوهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَعَفِّرُوهُ الثَّامِنَةَ فِي التُّرَابِ**] [3].

أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن الكلاب تنقل العديد من الديدان سيما الشريطية منها، والتي تسبب أمراضا كثيرة وخطيرة للإنسان خطيرة، وهو المعنى الذي ألمحت إليه أحاديث النبي –ﷺ– السابقة والتي تأمر بتطهير الآنية التي ولغ فيها الكلب، وتدعو إلى المبالغة في ذلك، بل وذهبت تحدد المادة التي اكتشف مؤخرا أنها الأكثر فاعلية وقدرة على ذلك.

قال **أمين قلعجي** :" الأحاديث النبوية الواردة في تطهير الآنية إذا ولغ فيها الكلب تعتبر من الصحة الوقائية في الإسلام، والتي ينادي بها الأطباء اليوم وقاية من الأضرار قبل أن تحدث، وهذا من الإعجاز النبوي في السنة المطهرة، وأصل علة النجاسة أن فم وأنف الكلب منبع الداء، وجسمه يتلوث كلما مسه بأنفه، وفمه، ولعابه، ويسبب مرض الكلب الفتاك، وإذا ولغ بالإناء تنقل دودة تسمى" Taenia ecinocaccus" إلى الإنسان، فتصل إلى الكبد، والرئتين، والكليتين، والمخ، والأعضاء التناسلية على شكل أكياس متحوصلة تضغط على الرئتين والأوردة والأعصاب وتؤدي إلى آلام وأمراض، فإذا انفجرت هذه الأكياس فلبس إلا مبضع الجراح، كما ينقل الكلب الجرب، حيث تتمركز طفيلياته على قنطرة أنف الكلب، وعندما يحك جسمه بأنفه يتلوث كله، فإذا داعبه أحد انتقلت إليه العدوى"[4].

ووقاية من كل هذه الأخطار التي تتربص بالمخالط وغير المخالط للكلب، أرشد النبي–ﷺ– إلى أنجع طريقة لذلك ملخصة في أمرين؛ أما أحدهما، فإراقة ما في الإناء وغسله سبع مرات، وأما الثاني فاستخدام التراب أول مرة – على الراجح من أقوال العلماء –.

---

[1] _ مسلم : الصحيح: ك: الطهارة ، ح(674).

[2] _ مسلم : الصحيح: ك: الطهارة ، ح(677).

[3] _ مسلم : الصحيح: ك: الطهارة ، ح(679).

[4] _ حاشيته على الاستذكار:(206/2).

وأما عن خصوصية الأمر بالتراب، فإن فيروس الكلب في منتهى الدقة والصغر، ومعلوم أنه صغر حجم الميكروب كلما زادت فعالية سطحه للتعلق بجدار الإناء والتصاقه به، ولعاب الكلب المحتوى على الفيروس يكون على هيئة شريط لعابي سائل، ودور التراب هنا هو امتصاص الميكروب من الإناء.

هذا وثبت علميا أن التراب يحتوي على مادتين قاتلتين للجراثيم هما : " تتراكسلين " و " التتارااليت" اللتان تستعملان في عملية التعقيم ضد بعض الجراثيم، وأنه –أي التراب– يحول دون تكاثر الجراثيم حتى في أكثر الأماكن مظنة لوجودها كالمقابر التي تحوي جثثا لكثير من البشر يموتون بالأمراض الإنتانية الجرثومية؛ حيث أظهرت التجارب والتحاليل لتراب هذه الأخيرة خلوها من تلك الجراثيم فاستنتجوا من ذلك أن للتراب خاصية قتلها، ولولا ذلك لاستفحل أمرها وانتشر خطرها[1].

[1] _ ينظر: نجيب بو حنيك وسلاف لقيقط: ولوغ الكلب بين استنباطات الفقهاء واكتشافات الأطباء، بحث مقدم إلى المؤتمر السابع للإعجاز العلمي في الكتاب والسنة–دبي، وهو ملحق بالمذكرة.

أهم المصادر والمراجع

– الأدب النبوي عظات بالغة وحكم عالية وآداب سامية : محمد عبد العزيز الخولي، المطبعة الرحمانية بمصر، ط(1) (1349هـ-1931م).

– أصول التربية الإسلامية : خالد بن حامد الحازمي ، دار عالم الكتب – الرياض، ط(1)(1420هـ-2000م)

– الإعجاز التربوي في القرآن والسنة: مصطفى رجب، العلم والإيمان للنشر والتوزيع- كفر الشيخ(2007).

– الإعجاز التربوي في القصص القرآني-نماذج تطبيقية-، عائشة بخيري، مذكرة ماستر، إشراف: مختارية يوسف - تلمسان- جامعة أبي بكر بلقايد (1436هـ-2015م).

– الإعجاز التربوي للقرآن الكريم في طرق التدريس : فوزية شحادة أحمد الراوي، رسالة ماجستير، إشراف : وليد محمد حسن العامودي-غزة- الجامعة الإسلامية(1430هـ-2009م).

– الإعجاز التشريعي في السنة النبوية : محمد المرعشلي، منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
https://www.iijazforum.org/sample-

– الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم مظاهره وأدواره : علي علان، مجلة البحوث والدراسات، العدد: 15- 2013م.

– الإعجاز التشريعي مفهوما ومزايا : يونس بن محي الدين الأسطل: مقال منشور على موقعه :
http://www.yalastal.com/article-detail/386

– الإعجاز التشريعي من فريضة الزكاة وشروط أصناف أموالها ومقاديرها وأنصبتها والترابط الدقيق الحاصل بينها : نجيب بوحنيك/ سلاف لقيقط ، ورقة بحثية مقدمة إلى المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة – الكويت (2006م) .

– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، المكتب العربي، بيروت – لبنان، (ط:9) (1393م-1981م).

– الإعجاز العلمي في السنة النبوية : صالح بن أحمد الرضا ، دار النشر مكتبة العبيكان – الرياض، ط(1) (1421هـ-2001م).

– الإعجاز العلمي في السنة النبوية تعريفه وقواعده : محمد بن عمر بن سالم بازمول، مكة المكرمة (د م).

– الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : عبد السلام حمدان اللوح، آفاق للطبع والنشر والتوزيع غزة- فلسطين.

– إعجاز القرآن الكريم: فضل حسن عباس. (د م)

– الإعجاز العلمي في القرآن والسنة : عبد الله بن عبد العزيز المصلح، عبد الجواد الصاوي وآخرون، دار جياد للنشر والتوزيع – ط(1) (1429هـ-2008م) .

– الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه : عبد الله المصلح (ط:2)(1429هـ-2006م).
– الإعجاز الفني في القرآن :عمر السلامي، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس1980م
– أهم الملامح الفنية في الحديث النبوي : نور الدين عتر، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة- جامعة قطر، العدد السابع 1414هـ-1994/1993م
– الإيضاح في علوم البلاغة : جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني، دار إحياء العلوم – بيروت، (ط:4)(1998م).
– البلاغة الواضحة : علي الجارم ومصطفى أمين، دار المعارف.
– البلاغة النبوية وأثرها في النفوس : حسن جاد، مجلة البحوث الإسلامية، العدد:5، محرم/جمادى الثانية: 1400هـ
– البيان النبوي : محمد رجب بيومي، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة (مصر)، (ط:1)(1407هـ-1987م).
– البيان والتبيين : أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق : فوزي عطوي، دار صعب – بيروت (ط:1) (1968م).
- التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة : سعيد إسماعيل القاضي، (ط:1)(1424هـ-2004م).
- التربية الدينية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة : فتحي علي يونس، عالم الكتب- القاهرة، (ط:1) (1999م).
– تأصيل البلاغة بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية : أ.د عبد المالك بو منجل، منشورات مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده ، جامعة محمد لمين دباغين- سطيف2.
– الحديث النبوي- مصطلحه، بلاغته، كتبه : محمد الصباغ، المكتب الإسلامي- بيروت (ط:4) (1401هـ-1981م).
– الدلالات البلاغية في الحديث : نصر الدين حسين إبراهيم أحمد حسين، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، دبي(2015م). http://irep.iium.edu.my/43089 /
– الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف : أحمد زكريا ياسوف، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع ط(1)(2002م).
– الصورة البيانية في الحديث النبوي – دراسة تطبيقية في سنن الترمذي: رحمة الله الطيب رحمة الله بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية- جامعة أم درمان الإسلامية [1428-1429هـ/2007-2008م] .http://mohamedrabeea.net/library
– معالم البيان في الحديث النبوي : عبد المحسن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع ،

الرياض السعودية، (ط :1)(1435هـ).

– معالم وجوه الإعجاز التربوي في القرآن والسنة: مقداد يالجن، دار عالم الكتب- الرياض.

– من بلاغة الحديث الشريف : عبد الفتاح لاشين، شركة مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع- المملكة العربية السعودية، (ط:1)(1402هـ-1982م).

– الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة : شحاتة صقر، دار الخلفاء الراشدين – الإسكندرية.

– نشأة الإعجاز التشريعي وتطوره : عبد الله أحمد الزيوت، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثامن، العدد03، (1434هـ-2012م).

– وجوه الإعجاز في السنة النبوية : أيمن محمود مهدي محمد ، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية، (العدد:35).

– ولوغ الكلب بين استنباطات الفقهاء واكتشافات الأطباء: نجيب بو حنيك وسلاف لقيقط، بحث مقدم إلى المؤتمر السابع للإعجاز العلمي في الكتاب والسنة –دبي.

– وحي القلم : الرافعي – المكتبة الشاملة –.

فهرس المحتوى

الموضوع	الصحيفة
تمهيد	1
المحاضرة الأولى: تعريف الإعجاز في السنة النبوية وضوابطه ووجوهه	5
أولا : تعريف الإعجاز في السنة النبوية	5
ثانيا : ضوابط القول بالإعجاز في السنة النبوية	12
ثالثا : وجوه الإعجاز في السنة النبوية	13
المحاضرة الثانية : الوجه الأول الإعجاز البلاغي في السنة النبوية	15
القسم الأول : حقيقة البلاغة النبوية وأدلة وأسباب رقيها	15
أولا : تعريف البلاغة لغة واصطلاحا .	15
ثانيا : حقيقة البلاغة النبوية	16
ثالثا : أدلة تفوق وسمو البلاغة النبوية	18
رابعا : أسباب رقي البلاغة النبوية	22
القسم الثاني : معالم البلاغة النبوية ووجوه إعجازها	24
خامسا : معالم البلاغة النبوية	24
سادسا: وجوه إعجاز البلاغة النبوية	32
المحاضرة الثالثة : الوجه الثاني: الإعجاز الفني في السنة النبوية	40
القسم الأول : تعريف الإعجاز الفني والتصوير الفني ووسائله البلاغية في الحديث النبوي	40
أولا : تعريف الفن لغة واصطلاحا .	40
ثانيا : مفهوم الإعجاز الفني في السنة النبوية	40
ثالثا : التصوير الفني في الحديث النبوي مفهومه ووسائله البلاغية	41
أ– مفهوم التصوير الفني في الحديث النبوي	41
ب– الوسائل البلاغية للصورة الفنية	42
القسم الثاني : الوسائل الجمالية للصورة الفنية ومظاهرها وخصائصها والموسيقى النثرية في الحديث	47
ج– الوسائل الجمالية– الأخرى– للصورة الفنية في الحديث النبوي.	47
د– مظاهر الصورة الفنية في الحديث النبوي.	55
هـ– خصائص الصورة الحديثية.	56

رابعا: الموسيقى النثرية في الحديث النبوي.	57
المحاضرة الرابعة: الوجه الثالث : الإعجاز التشريعي في السنة النبوية.	61
أولا : مفهوم الإعجاز التشريعي في السنة النبوية.	61
ثانيا : الإعجاز التشريعي في أقوال العلماء وبوادر الاهتمام به.	63
ثالثا : مجالات الإعجاز التشريعي في السنة النبوية.	64
رابعا : مظاهر الإعجاز التشريعي في السنة النبوية.	65
خامسا : نماذج من الإعجاز التشريعي في السنة النبوية.	67
المحاضرة الخامسة: الوجه الرابع : الإعجاز الغيبي في السنة النبوية.	74
أولا : تعريف الإعجاز الغيبي في السنة النبوية.	74
ثانيا : وجوه الإعجاز الغيبي في السنة النبوية.	76
ثالثا : خصائص الإعجاز الغيبي في السنة النبوية.	76
رابعا : نماذج من الإعجاز الغيبي في السنة النبوية.	77
المحاضرة السادسة: الوجه الخامس: الإعجاز التربوي في السنة النبوية.	80
القسم الأول : مفهوم الإعجاز التربوي في السنة النبوية وخصائص التربية النبوية.	80
أولا : مفهوم الإعجاز التربوي في السنة النبوية	80
ثانيا : خصائص التربية النبوية.	82
القسم الثاني : أساليب التربية النبوية ووجوه الإعجاز التربوي في السنة ونماذج منه.	91
ثالثا: من أساليب التربية النبوية.	91
رابعا: وجوه الإعجاز التربوي في السنة النبوية.	92
خامسا : نماذج من الإعجاز التربوي في السنة النبوية.	93
المحاضرة السابعة : الوجه السادس: الإعجاز العلمي في السنة النبوية	102
القسم الأول : مفهوم الإعجاز العلمي في السنة النبوية ووجوهه وضوابطه وفوائده	102
أولا : مفهوم الإعجاز العلمي في السنة النبوية.	102
ثانيا : وجوه الإعجاز العلمي في السنة النبوية	102
ثالثا : ضوابط وخطوات البحث في الإعجاز العلمي في السنة النبوية	103
رابعا : فوائد بحوث الإعجاز العلمي في السنة النبوية.	105
القسم الثاني : مجالات الإعجاز العلمي في السنة النبوية ونماذج منه.	106

خامسا : مجالات الإعجاز العلمي في السنة النبوية	106
سادسا : نماذج من الإعجاز العلمي في السنة النبوية	106
أهم المصادر والمراجع.	117
فهرس المحتوى.	120